

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية الآداب واللغات

رقم التسجيل:

عبد الجبار مناني 039047287

محمد علي ضرار بوضياف 95350

التخصص: لسانيات عامة

الفرع: لسانيات

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي بعنوان

دَوْرُ الْمُسْتَوِيَّاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ

فِي تَشْكِيلِ الْإِثَارَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ

إعداد الطالبين:

- عبد الجبار مناني

- محمد علي ضرار بوضياف

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ التعليم العالي	زكري بحوص
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	خليفة عوشاش
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	عليوي عمر

السنة الجامعية: 2022/2021



# كلمة لا بدّ منها

يتعذّر علينا، ونحن نعبّر هذه البيداء بقيضها الّلافح، تلمننا الهبوب،  
وتسفعنا السّافيات، نقول: يتعذّر علينا، بكلّ تأكيد، أن نمضيّ دون أن  
نوميّ إلى ذلك السنديان الشّامخ الذي رافق رحلتنا فبدّد الظّلام، وقهرنا  
بصحبتة أشباح العجز واليأس المرهوبة.

إلى الأستاذ الفاضل خليفة عوشاش الذي كان له أغلب الفضل في  
اجتيازنا منعطفات هذا البحث، وآتونه اللّاهب.. إجلالا، وتقديرا.  
إلى كلّ أساتذتنا ومعلّمينا عبر مسيرتنا الدراسية.. عرفانا، وامتنانا.  
إلى كلّ من كان له في هذا البحث يدّ، أو حضور.. شكرا بلا حدود.

الطّالبان

إهداء

يقولون: مات، أقول: يعيش \*\*\* ويجري من الرّوح مجرى النّفس  
ليالٍ.. شهوّر.. سنون توالّت \*\*\* ودهرُ أراد سُلوّي يئسُ  
وما زاده البعدُ إلّا اقتراباً \*\*\* وأجّج في القلب حبّاً خلّسُ

### **إليك بابا..**

إلى الحبّ الثّابت، والقلب الذي لا يتغيّر، في زمن كلُّ ما فيه تغيّر  
إلى التي وهبتني الحياة، ولا تزال

### **إليك أمي..**

أنتم الذين أشدّ بكم أزرى، وأشرككم في أمري

### **إليكم إخوتي، وأخواتي..**

هذه الدّنيا متاعٌ \*\*\* خيرها الزّوج الوفيّه  
مَنْ إذا ناديتُ لبّت \*\*\* تسرعُ الخطورضيّه  
بسمة الأنسِ لَدَيْها \*\*\* تجعلُ النّفسَ هنيّه

### **إليك زوجتي العزيزة..**

فراس، نضال، جود، أمان

**إليكم فلذات كبدي، ومهجة روعي، وقرّة عيني**

عبد الجبار منّاني

# إهداء

إلى من غرس في الفضيلة وعلمني أوائل الحروف ورصفها، وقوم  
لساني وكانا سببا في وجودي إلى الجليلين أبي وأمي من يستحقان أن  
يُهدى إليهما كل عمل جميل وشكر جليل.

وإلى من أحيا فيّ روح استهلال طلب العلم وبعثها من مرقدها، وأوقد  
جذوتها وألهب أوارها، وكل من مدّ لي يد العون ولو بكلمة تشجيع،  
ودفعني دفعا حتى تقرّ عينه برويتي أسمو في مراتب المجد.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا، مع أنهم يستحقون أكثر وأكثر.

بوضياف

محمد علي ضرار

# مقدمة

## مقدمة

إن المكتبات العربية، والإسلامية، والعالمية، تعرف ثراء في ميدان الدراسات القرآنية لم تعرفه عديد ميادين البحث الأخرى، حتى إن هذا النوع من المؤلفات أضحي صنفا مستقلا في المكتبات، له ترميزه الخاص. فهذه مجموعة التفاسير منذ ابن عباس، وإلى ابن عاشور، وابن باديس، ومحمد متولي الشعراوي... وغيرهم في العصر الحديث، وتلك مجموعة المصنفات التي عنيت بإعراب القرآن الكريم، وأخرى اهتمت بدراسة الأسلوب والبلاغة القرآنية... وغيرها.

ورغم كل تلك الدراسات، فإن الجانب الوجداني في القرآن الكريم لم يعن بالاهتمام الذي حظيت به بقية ميادين البحث، لاسيما في البحوث العلمية الأكاديمية. إذ لم نعثر فيما اطلعنا عليه على أكثر من الفصل الذي أفرده محمد سعيد رمضان البوطي في كتيبه الموسوم: "منهج تربوي فريد في القرآن" تحت عنوان: الإثارة الوجدانية، وإن كان البوطي قد تناول الإثارة الوجدانية كوسيلة من وسائل المنهج التربوي القرآني. مع عديد الإشارات للموضوع بين ثنايا البحوث الأخرى.

إن اجتماع تلك العوامل مع رغبتنا في الموضوع، واقتناعنا به، قد دفعنا إلى تناوله في هذا البحث الذي اخترنا له عنوان:

### دور المستويات اللغوية في النص القرآني في تشكيل الإثارة الوجدانية

واشتمل البحث على فصل تمهيدي تضمن تعريف كل من (الإثارة) و (الوجدان) تعريفات لغوية من خلال أهم المعاجم العربية، وتعريفات اصطلاحية مختلفة؛ نفسية وفلسفية، وفنية من خلال دراسات متخصصة في هذا الميدان.

تلا ذلك فصلان، اشتمل الأول منهما على ذكر أربعة مستويات من أهم المستويات اللغوية للإثارة الوجدانية في القرآن الكريم، وهي: المستوى المعجمي، المستوى الصوتي، فالتركيب، فالبلاغي. لفصل الحديث في الفصل الثاني حول دور تلك المستويات في تشكيل الإثارة الوجدانية في النص القرآني دائما، وتتلو ذلك كله بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، وقائمة بعناوين المراجع والمصادر المعتمدة في هذه الدراسة.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من الأبحاث والدراسات المختصة نذكر منها على سبيل التمثيل: التمثيل الصوتي للمعاني لحسن عبد الجليل يوسف، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لصدقي أحمد عامر، والوصف في القرآن الكريم ليونس جاسم...

كما اعترضتنا مجموعة من الصعوبات في انجاز هذا البحث تتمثل في صعوبة النص القرآني من حيث استجلاء أنواع الإثارات الوجدانية التجريبية على الناظر في القرآن الكريم، والذي لا تنتهي عجائبه حيث تعدّ كل التفاسير والدراسات التي تعمل على هذا الجانب جهود غير متكاملة، إضافة إلى صعوبة توزيع تأثير القرآن الكريم على حسب مستوياته. لهذا كانت دراستنا هذه دراسة جمالية فنية وفقا لطبيعة الموضوع، وكان اختيارنا للشواهد القرآنية من مواضع متفرقة إثراء للموضوع، حيث يمكننا ذلك من الإمام بكافة المستويات.

في الأخير لا يفوتنا إلا أن نشكر المشرف على هذا البحث أستاذنا الدكتور خليفة عوشاش لما قدمه من نصائح وتوجيهات حتى استوى هذا البحث على سوقه.

ولا يسعنا ونحن نقدم لهذا البحث إلا أن نسأل الله التوفيق.

مدخل:

مفاهيم

بعث الله الأنبياء كلِّ بمعجزته وكان القرآن الكريم هو معجزة خاتم الأنبياء جميعاً، أسرت فصاحته الألباب والعقول، وأعجزت أفصح العرب على أن يأتوا بمثله، وملك بيانه القلوب لما فيه من بلاغة، فحرك الوجدان، وأثار الكامن فيه، وشغل كل الأحاسيس، ولما فيه من بيان وفصاحة جعل كل القلوب تتجه نحوه فكان قبلتها، أثار الوجدان، بعث الحياة في الأفئدة البور، ولمس الحي منها فجعلها تعيش بنوره.

لم يكن حظ العقل من الخطاب القرآني أوفر من حظ العاطفة والوجدان، فقد جمع هذا النص الخالد بينهما في تكامل نادر، وإعجاز رباني باهر. وكان للإثارة الوجدانية وجودها الفاعل في أغلب آيات القرآن الكريم، في أكثر المواضع حاجة للشدة والحزم، في آيات الأحكام الشرعية حتى.

سنحاول في هذا التمهيد رصد أهم الدلالات اللغوية، وأبرز المفاهيم الاصطلاحية لمصطلحي: (الإثارة)

و(الوجدان).

تعريف الإثارة:

### 1 . لغة:

يقول ابن منظور: وثارت الحصبة بفلان ثورا وثؤورا وثؤارا وثوراناً: انتشرت. وكذلك كل ما ظهر فقد ثار يثور ثورا وثوراناً. وحكى اللحياني: ثار الرجل ثوراناً ظهرت فيه الحصبة. ويقال: ثور فلان عليهم شراً إذا هيجه وأظهره. والثور: الطحلب وما أشبهه على رأس الماء.

ابن سيده: والثور ما علا الماء من الطحلب والعرمض والغلفق ونحوه، وقد ثار الطحلب ثورا وثوراناً. وثورته وأثرته وكل ما استخرجته أو هجته فقد أثرته إثارة وإثاراً. كلاهما عن اللحياني وثورته واستثرته كما تستثير الأسد والصيد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> لسان العرب ، 108/4 .

...ويقال: ثورت كدورة الماء فثار. وأثرت السبع والصيد إذا هجته، وأثرت فلانا إذا هيجته لأمر، واستثرت

الصيد إذا أثرته أيضا، وثورت الأمر: بحثته.

وثور القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه وفي حديث عبد الله: أثيروا القرآن فإن فيه خير الأولين والآخرين،

وفي حديث آخر: من أراد العلم فليثور القرآن قال شمر: تتوير القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه،

وقيل: فلينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته. وقال أبو عدنان: قال محارب صاحب الخليل: لا تقطعنا فإنك

إذا جئت أثرت العربية، ومنه قوله: يثورها العينان زيد ودغفل.

وأثرت البعير أثيره إثارة فثار يثور، وتثور تتورا إذا كان باركا وبعثته فانبعث وأثار التراب بقوائمه إثارة: <sup>1</sup> .

قال الفيروز آبادي: الثور: الهيجان والوثب والسطوع ونحوض القطا والجراد وظهور الدم كالثور والثوران والثور

في الكل، وأثاره أثره وهثره وثوره واستثاره: غيره.

والثائر: الغضب وثور القرآن: بحث في علمه <sup>2</sup> .

وقوله عز وجل: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم. في اللسان: وسمنت الإبل

والناقة على إثارة أي على عتيق شحم كان ذلك قبل ذلك، قال الشماخ: وذات إثارة أكلت عليه.

وفي الأساس: ومنه: أغضبني فلان عن إثارة غضب أي كان قبل ذلك. وفي المحكم والتهذيب: وغضب على

إثارة قبل ذلك أي قد كان قبل ذلك منه غضب ثم ازداد بعد ذلك غضبا، هذه عن اللحياني <sup>3</sup> .

من أثر الحديث إذا رواه. أي ما تلفظت بالكلمة التي هي (بأي) لا ذاكرا لها بلساني ذكرا مجردا من عزيمة

القلب، ولا مخبرا عن غيري بأنه تكلم بها، مبالغة في تصوني وتحفظي منها، وإنما قال: حلفت، وليس الذكر مجرد

ولا الإخبار بحلف حلفا، لأنه لا يلفظ بما يلفظ به الحالف <sup>1</sup> .

<sup>1</sup> - لسان العرب 108/4.

<sup>2</sup> - القاموس المحيط 56/4.

<sup>3</sup> - تاج العروس، الزبيدي 1/2576.

والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء<sup>2</sup>.

وفي الحديث: (من سره أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه).

الأثر: الأجل، وسمي به لأنه يتبع العمر، قال زهير:

والمرء ما عاش ممدودًا له الأمل \* لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر<sup>3</sup>

وأصله من أثر مشية على الأرض فإن من مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر.

ومنه قوله للذي مر بين يديه وهو يصلي: (قطع صلاتنا قطع الله أثره) دعاء عليه بالزمانة لأنه إذا زمن انقطع

مشيه فانقطع أثره<sup>4</sup>.

والأثر بالضم: أثر الجراح يبقى بعد البرء، وقد يتقل مثل عسر عسر، قال الشاعر:

غضب مضارها باق بها الأثر.

والأثرة أيضا: أن يسحى باطن خف البعير بحديدة ليقطص أثره، والإثر بالكسر أيضا: خلاصة السمن.

وتقول أيضا: خرجت في إثره، أي في أثره. والأثر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف. وسنن النبي -

صلى الله عليه وسلم -: آثاره، واستأثر فلان بالشيء أي استبد به<sup>5</sup>.

وفي تفسير قوله - تعالى -: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي

السَّمَوَاتِ أَمْ لِيُنزِلَ سَكِّبٌ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٌ مِّن عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ٤﴾ (الأحقاف 04) قال مجاهد: أو أحد

يأثر علما، وقال العوفي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أو بينة من الأمر...<sup>6</sup>.

1. الفائق في غريب الأثر، الزمخشري 179/1.

2. مختار الصحاح، الرازي ص 364.

3. ديوان زهير، شرح وتعليق محمد محمود، ص 64.

4. النهاية في غريب الأثر،

5. الصحاح، الجوهري ص: 575.

6. تفسير ابن كثير، 181/4.

## 2. اصطلاحاً:

أما الإثارة فنيا فترتبط بالانفعال الذي يلبس الشخص ويترجم ما بداخله، وعليه فالإثارة فنيا وفلسفياً هي انفعال الإنسان تجاه شيء ما.

فالانفعال هو مجموع المشاعر التي يثيرها الأثر الفني في القارئ أو المشاهد أو السامع.

وهو كذلك كل ما يقابل المحاكمات العقلية والأفعال الإرادية ويولد في الإنسان خلال فترة زمنية معينة شعور هو من القوة بحيث يسيطر على الذهن، وبذلك يكون الانفعال مغالاة في الشعور، وقد يستبعد المرء ويبعده عن الحقيقة والخير.

ومع ذلك فإن الانفعال مصدر غني من مصادر الخلق الفني لأنه يؤدي بصاحبه في حالات التوتر العنيف إلى مشارف من الرؤى لا يتيسر الارتقاء إليها في حالات الاطمئنان والركود العاطفي<sup>1</sup>.

والانفعال هو مجموع الحالات الشعورية والعاطفية المتعلقة بشخص ما.

والإثارة هي الإحساس، وهو ظاهرة فسيولوجية سيكولوجية مرتبة على إثارة إحدى الحواس ويصاحبها الوجدان أحياناً كالإحساس بالألم أو التفكير أحياناً أخرى كالإحساسات المرئية<sup>2</sup>.

والإثارة هي الانفعال وهو أحد المقومات العشر التي قال بها أرسطو، ويقابل الفعل، فالحدث من جانب محدثه فعل ومن جانب متقبله انفعال.

والانفعال عاطفة قوية تتحكم في النفس كالحب والكراهية والحزن والفرح. وهي عند الديكارتيين وليدة الروح الحيوانية، وكثيراً ما يستعمل الآن للدلالة على الميول والأهواء الجامحة والمتحكمة كالغضب والبخل.

1. المعجم الأدبي، عبد النور جبور ص: 40.

2. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ص 04.

ويطلق الانفعال (ENOTION) أيضا على الظواهر الوجدانية بوجه عام كاللذة والألم ويقابل الإدراك

والنزوع وقد يقصر على الانفعالات الشديدة التي يصحبها توقف أو حركة كالخوف والحب<sup>1</sup>.

### تعريف الوجدان:

#### 1. لغة:

الوجدان لغة هو الغضب والحزن والحب.

يقول ابن منظور: ووجدانا: غضب، وفي حديث الإيمان: إني سائلك فلا تجد علي أي لا تغضب من سؤالي،

ومنه الحديث: لم يجد الصائم على المفطر، وقد تكرر ذكره في الحديث اسما وفعلا ومصدرا. وأنشد اللحياني قول

صخر الغي:

كالانا رد صاحبه بياس \* وتأنيب ووجدان شديد

فهذا في الغضب لأن صخر الغي أياس الحمامة من ولدها فغضبت عليه، ولأن الحمامة أياسته من ولده فغضب

عليها. ووجد به وجدا: في الحب لا غير، وإنه ليجد بفلانة وجدا شديدا إذا كان يهواها ويحبها حبا شديدا. وفي

الحديث، حديث ابن عمرو عينة ابن حصن: والله ما بطنها بوالد ولا زوجها بواجد أي أنه لا يحبها، وقالت

شاعرة من العرب وكان تزوجها رجل من غير بلدها فعنن عنها:

من يهد لي من ماء بقعاء شربة \* فإن له من ماء لينة أربعا

لقد زادني وجدا ببقعاء أنسي \* وجدت مطايانا بلينة ظلعا

فمن مبلغ تربي بالرمل أنسي \* بكيت فلم أترك لعيني مدمعا

تقول: من أهدى لي شربة من ماء بقعاء على ما هو من مرارة الطعم فإن له من ماء لينة على ما هو به من

العدوبة أربع شربات، لأن بقعاء حبيبة إلي إذ هي بلدي و مولدي ولينة بغيضة إلي لأن الذي تزوجني من أهلها

<sup>1</sup> - المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية- القاهرة ، ص 26 .

غير مأمون علي، و إنما تلك كناية عن تشكيها لهذا الرجل حين عنن عنها، وقولها : لقد زادني حبا لبلدي بقعاء هذه أن هذا الرجل الذي تزوجني من أهل لينة عنن عني فكان كالمطية الظالعة لا تحمل صاحبها، وقولها: فمن مبلغ تربي (البيت) تقول: هل من رجل يبلغ صاحبتني بالرمل أن بعلي ضعف عني وعنن فأوحشني ذلك إلى أن بكيت حتى قرحت أجفاني فزال المدامع ولم يزل ذلك الجفن الدامع ، قال ابن سيده : وهذه الأبيات قرأتها على أبي العلاء صاعد بن الحسن في الكتاب الموسوم بالقصوص. ووجد الرجل في الحزن وجدا بالفتح ووجد، كلاهما عن اللحياني: حزن، وقد وجدت فلانا فأنا أجد وجدا، وذلك في الحزن<sup>1</sup> .

ووجد عليه في الغضب موجدة ووجدانا أيضا<sup>2</sup>.

وتوجدت لفلان: أي حزنت له<sup>3</sup> .

والواجد: المحب، من وجد فلان بالمرأة وجدا شديدا<sup>4</sup> .

وجدة وموجدة غضب، وبه وجدا في الحب فقط، وكذا في الحزن لكن بكسر ماضيه<sup>5</sup>.

ويقال: وجدت بفلانة وجدا إذا أحببتها حبا شديدا. وفي الحديث: (فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه) أي

أحبه واغتنب به<sup>6</sup> .

**2\_ اصطلاحا:** الوجدان الأدبي: الإحساس الداخلي الذي يتكون في ذاتنا عن قيمة عمل ما في المطلق، ويعبر

عنه بكلمة ضمير.

<sup>1</sup>. لسان العرب 445/3 .

<sup>2</sup>. الصحاح ، الجوهري .

<sup>3</sup>. الصحاح الجوهري .

<sup>4</sup>. الفائق في غريب الأثر الزمخشري ، 46 /4 .

<sup>5</sup>. القاموس المحيط 414 /1 .

<sup>6</sup> - النهاية في غريب الأثر ، 334 /5 .

والوجدان التأملي: الإحساس الواعي أو المعرفة التي نتوصل إليها بعد التحليل بحيث نتمكن من تحديد الفعل النفسي بوضوح ودقة.

والوجدان العفوي: الحدس الغامض الذي يتكون لدينا عن ظواهر نفسية تعتمل في ذاتنا، هو مثلا ما نكون عليه عندما يبدأ النعاس بالتملك علينا شيئا فشيئا، أو عندما نكون عليه عندما تأخذ اليقظة بالديب فينا<sup>1</sup>.

والوجدان مصدر وجد، نقول: وجد المطلوب وجدانا أصابه وأدركه، والوجدان عند الحكماء هو النفس وقواها الباطنة فقط من جهة ما هي وسيلة لإدراك الحياة الداخلية<sup>2</sup>.

والوجدان عند الصوفية مصادفة الحق تعالى.

والوجدان مجموع الظواهر الوجدانية من لذة وألم وانفعال<sup>3</sup>.

والوجداني (فنيا): صفة ما هو متعلق بالوجدان في معناه الأول. والوجدانية

(فنيا): التأثيرية والانفعالية الشديدة الحساسية بالألم أو باللذة<sup>4</sup>.

والوجداني ما يجده كل أحد في نفسه (كعلمنا بوجود ذاتنا وبأفعال ذاتنا)، ويراد به الحدسي أو ما يدرك بالقوى الباطنة (كعلمنا بخوفنا، وشهوتنا، وغضبنا، ولذتنا) أي ما يحكم به العقل بالاستناد إلى الحس الباطن.

كان الوجداني غير مقصور على إدراك اللذة والألم والانفعال، بل كان مشتملا على إدراك كل ما يظهر على

مسرح النفس من الصور والمعاني<sup>5</sup>.

1. المعجم الأدبي عبد النور جبور ص: 289 .

2. المعجم الفلسفي ، جميل صليبا 557/2 .

3. المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية - القاهرة ص: 210 .

4. المعجم الأدبي عبد النور جبور ص: 289 .

5. المعجم الفلسفي جميل صليبا 557 / 2 .

ووجداني ما له صلة بالوجدانيات كاللذة والألم ويقابل الفكري والنزوعي من أحوال النفس ووجدانية:

استعداد الفرد بمعاناة المشاعر والانفعالات<sup>1</sup>.

وتطلق الوجدانيات بالجمع على ما يكون مدركا بالحواس الباطنة إذا علمت أن الحواس عند القدماء تشمل

الحس المشترك، والخيال، والمصورة، والمتخيلة، والمفكرة، والوهمية، والحافظة.

والوجدانيات بوجه عام تشمل كل ما نجده في نفوسنا من اللذات، والآلام، والعواطف، والصور، والذكريات،

وغيرها<sup>2</sup>.

والوجد ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف ولا تصنع<sup>3</sup>.

والانفعالات الوجدانية تكون نتيجة النزاع بين الإيجابي والسلبي، بالهبوط إلى السلبي أو الصعود إلى الإيجابي.

والانفعالات الوجدانية هي خمسة:

**1 . الانفعال المأساوي:** يقوم هذا الانفعال على اختزال هابط للنزاع بين الحياة والموت. وقد يوهم بوضع حد

للنزاع الأساسي بين الحياة والموت ويوفر إرضاء لا شعوريا عاطفيا يستغله الحدس التجاري غالبا ومرارا.

فالانتحار مثلا عبارة عن نشوة مأساوية لدى الضحية، وقصة الانتحار عبارة عن نشوة مأساوية لدى القارئ.

**2 . الانفعال السحري:** يقوم على اختزال صاعد للنزاع بين الحياة والموت. وهو ينتج عن الشعور بأن مسافة

شاسعة قد قطعت بطريقة غامضة بفضل تدخل يفوق قدرة البشر، كما هي الحال بنسبة لتناقل الخواطر والعرافة

والمعجزة وظاهرات التنجيم الخارقة، و هو يتجلى خاصة في الميثاث والأديان<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>. المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ص: 211 .

<sup>2</sup>. المعجم الفلسفي ، جميل صليبا 2 / 557 .

<sup>3</sup>. التعريفات ، الشريف الجرجاني ص : 277 .

<sup>4</sup>. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص: 19.

والانفعال السحري عكس الانفعال المأساوي فالأول يمثل تغلب الحياة على الموت، أما الثاني فهو يمثل تغلب الموت على الحياة.

**3 . الانفعال الدراماتيكي:** يشكل الانفعال الدراماتيكي سلسلة من الاختزالات للنزاع بين الحياة والموت. فالتناوب الدراماتيكي الذي يلخص كل عراك اجتماعي يقوم على الاقتران مرات عديدة من الهزيمة والموت والفشل، فالنزاع بين رجال الأمن والخارجين عن القانون عبارة عن نشوة عراكية دراماتيكية لدى المتخاصمين، وقصة هذا النزاع عبارة عن نشوة عراكية دراماتيكية لدى القارئ<sup>1</sup>.

فالانفعال الدراماتيكي عبارة عن تناوب انفعال مأساوي وانفعال سحري.

**4 . الانفعال الشهواني:** يقوم الانفعال الشهواني على الاختزال المصطنع للتباعد ما بين جسدين اثنين أو أكثر.

**5 . الانفعال الهزلي:** الانفعال الهزلي هو اختزال مصطنع لتناقض منطقي<sup>2</sup>.

وتمدنا الأدب بالإضافة إلى الانفعالات الوجدانية بانفعالات إبداعية خلاقية. ونعني بها الانفعالات الناتجة عن فنون الأسلوب والمعلومات التاريخية والفسانية والفلسفية.

وهي بالتالي تؤدي إلى لذة تعليمية أو لذة جمالية يشعر بها القارئ لدى مطالعته لأي نتاج أدبي.

#### أ الانفعال التعليمي:

إننا نشعر بالانفعال التعليمي عند قراءتنا للنصوص (أو لبعض وحدات السرد) التي يغلب عليها طابع

الإعلام والإخبار والتحليل، أو هي تنقل الخواطر والأفكار الفلسفية والأخلاقية:

#### ب الانفعال الشعري:

بينما تتلخص النشوة المأساوية في اختزال ثنائية ما بتصفية أحد قطبي النزاع، تتركز النشوة الشعرية على

اختزال ثنائية ما بفضل الجمع بين قطبي النزاع.

<sup>1</sup>- دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص: 20.

<sup>2</sup>- السابق ص: 21

فعندما نقول: (بساط من النجوم) نحصل على اختزال التضاد بين (النجوم) السماوية و(البساط) الأرضي بفضل خلق معنى جديد طريف، وهكذا تكون طبيعة الانفعال الشعري طبيعة خلاقية بسبب النشاط الحقيقي في تركيب المعاني الذي يقوم به فكر الإنسان، وهذا ما دفع بيارغيرو إلى القول إن (ذهن المؤلف هو نوع من النظام الشمسي يجذب كل شيء إلى مداره).

والإبداع الجمالي مع الانفعال الجمالي يشكلان والانفعال المأساوي تكافلا مدهشا<sup>1</sup>.

والانفعالات الوجدانية تكون نتيجة الأسلوب الذي يستعمله الكاتب: كالتصوير والمحسنات البديعية والصور الخاصة، والإخبار. فالتصوير هو نقل أفعال الشخصيات وكلامهم بطريقة غير مباشرة، إلا أن الأسلوب المباشر لا يغطي إلا جزءا من التصوير، إذ يضاف إليه التشبيه والخواطر<sup>2</sup>.

أما الإخبار فيكون إما إخبار صرفا أو وصفا، وعندما يستخدم الراوي صيغة الإخبار فهو يتكلم باسمه الشخصي ويغلب على كلامه طابع الموضوعية. الإثارة إذن هي التهيج والانتشار والبحث في الشيء، ومعاني الإثارة والتثوير والثوران لا تخرج من دائرة الهيجان والحركة وتحريك الكوامن، والبحث عن الخفايا والبواطن. والإثارة الوجدانية هي العمل على تهيج المشاعر، وتحريك الكامن من الأحاسيس، والوصول إلى أغوار النفس البشرية، وملامسة مواطن الإحساس فيها.

هذا، وسنحاول في الفصل الآتي معرفة المستويات اللغوية التي ساهمت في تجسيد هذه الإثارة في النص القرآني.

<sup>1</sup>. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص: 21.

<sup>2</sup>. السابق ص: 17.



## الفصل الأول

المستويات اللغوية للنص القرآني:

\_ المستوى المعجمي

\_ المستوى الصوتي

\_ المستوى التركيبي

\_ المستوى البلاغي

المعجزة لا تكون حتى تُعجز الخلق وتُخرج من حد الطاقة كإحياء الموتى والمشى على الماء، وخلق البحر، وما إلى ذلك، ومعجزة القرآن هي أكبر المعجزات، خص بها الله نبيه محمدا . ρ ، وحين تحدى الله العرب دمغهم بالحجة، لم يقدرُوا على الإتيان بمثله عجزا منهم ووهنا، لا تهاونا ولا تغافلا، ولا ضعفا. لأن الإتيان بمثل أصغر سورة منه كان كفيلا بأن يكفيهم شر قتل الأنفس والأولاد، وأن التقريع بالعجز أشد على نفوس العرب والبدو خاصة، لما فيهم من الأنفة والعزة. فكيف والقرآن يتحداهم في أخص خصائصهم وهو فلا نستطيع أن نجد في حديث العرب المعاصرين لنزول القرآن صورة معينة لهذا الجمال الفني الذي سموه تارة شعرا، وسموه تارة سحرا، وإن استطعنا أن نلمح فيه صورة لما منه من تأثير<sup>1</sup> .

وما ذلك التأثير والسلطان إلا لأنهم وجدوا فطرتهم اللغوية وطبيعتهم الأدبية في هذا القرآن. وجدوا فيها، مع أنه أقل نظما من الشعر إقناعا، وهيبه، وإمتاعا، وهذا ما لم يجدوه في الشعر، وجدوه خاليا من خشانة البداوة، ومن طراوة أهل الحضرة<sup>2</sup> .

والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة<sup>3</sup> .

والتصوير الفني في القرآن هو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل. وكثيرا ما يشترك

الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملأها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان. وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط

1. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ص: 22.

2. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل حسن عباس ص: 75.

3. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ص: 32.

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المستويات اللغوية للنص القرآني

جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانيات. فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة<sup>1</sup>.

فقد سلك القرآن طريقا جعلته يعيش كل هذه القرون وتبرز فيه مواطن الجمال كل حين، ويتفوق على كل النصوص، بما فيه من تصوير حتى يلمس النفسية الدقيقة لمتلقيه، فأى نص يكتسب حياته من خلال المتلقي، إذ هو الذي يفك شفرة ذلك النص، ويستخرج ما فيه، كل متلق حسب ثقافته وأفقته ومعرفته بعالم ذلك النص وسياقه، ذلك الأفق الذي يمكنه من إدراك ما في النص من أفكار ومبادئ وجماليات<sup>2</sup>.

ويقدر ما يقدم النص للقارئ يضيفي القارئ على النص أبعادا جديدة، قد لا يكون لها وجود في النص... وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة العمل الأدبي إلا من خلال تداخل القارئ مع النص. وللتأثير في المتلقي استعمل القرآن الكريم في التعبير عن معانيه أسلوبا عاليا ولغة بليغة بحروفها، وأصواتها، وجملها، وتراكيبها.

### 1. الانتخاب المعجمي:

وقد انفرد القرآن بهذا الأسلوب المتميز الذي أعجز الدارسين وأسأل الكثير من الحبر وشغل العقول وملاً الألباب.

لقد عمد القرآن دائما إلى لمس البداهة، وإيقاظ الإحساس، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة، ويتخطاهما إلى الوجدان<sup>3</sup>، مستعملا في ذلك تعبيرات مصورة رسمت بألفاظ معبرة دقيقة. فحرص القرآن على الاستعمال الدقيق للكلمة داخل السياق وهو ما جعله يؤثر استعمال كلمة دون سواها من الكلمات الأخرى التي تقاربها في المعنى أو تشاركها فيه.

<sup>1</sup> التصوير الفني ، سيد قطب ص : 32 .

<sup>2</sup> السابق ص : 33 .

<sup>3</sup> التصوير الفني ، سيد قطب ص: 184 .

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

لذا حرص العلماء على بيان الفرق بين الكلمات المتقاربة المعنى والتعابير المتشابهة الدلالة ، لأن " من دقائق التركيب وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا بدل مكانه غيره جاء منه تبدل في المعنى الذي يكون منه فساد الكلام واختلال التركيب، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، والأمر فيه عند علماء اللغة، بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها وإن كانا سيشتركان في بعضها "1.

فقد يستخف الناس ألفاظا يستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها<sup>2</sup>.

فاللفظة ليست وعاء معنى دقيق فحسب، وإنما هي مصدر صورة لها أبعاد وظلال وحياتة<sup>3</sup>.

فالكلمة في الحقيقة الوضعية إنما هي صوت النفس، لأنها تلبس قطعة من المعنى فتختص به على وجه المناسبة، قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع حين فصلت الكلمة على هذا التركيب.

وصوت النفس هو أول الأصوات الثلاثة. بالإضافة إلى صوت الحس وصوت العقل التي لا بد منها في تركيب النسق البليغ، حتى يستجمع الكلام بما أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها، وبين هذه المعاني وصورها النفسية، فيجري في النفس مجرى الإرادة، ويذهب مذهب العاطفة، وينزل منزلة العلم الباعث على كليهما، فإن البيان لا يؤلف أصواتا لرياضة الصدر بما وصلابة الحلق عليها، ولكنه صور نفسية في الطبيعة وصور طبيعية في النفس، فإن لم يكن حيا ناطقا يلمح بعضه بعضا، ولم يكن بتركيبه وطريقة نظمه كأنما يحمل من معناه للنفس مادة الإرادة أو الفكرة لم يجد شيئا، وانقطع به غرضه، واستهلكه انصراف النفس عنه وصارت معانيه كأن ليس لها أصول فيها،

1. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، محمد أحمد خلف الله ص: 26.

2. البيان والتبيين، الجاحظ 20/1.

3. التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين ص: 185.

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

وكأنها مادة جامدة أو روح مادة ميتة، بل هو ربما سفلى إلى منزلة الإشارة التي هي اللغة الأولى منذ كان الإنسان يتكلم بجواسه، والتي هي أضعف الكلام وأخفاه وأشد التباسا في مذاهب المعاني النفسية<sup>1</sup>.

فالقرآن يتخير الألفاظ التي تضخ الحياة في تركيبه وتجعله من التأثير ما يحول القارئ إلى جزء من التركيب نفسه، وذلك لإحساس هذا الأخير بمعنى كل لفظ، وسيطرة كل معنى على عواطفه، " فإن خرج مما وقفت عنده الطباع النفسية فلم يكن في بعض الكلام مقدارا معيناً تحسه في جهة وتفقدته في جهة، وتراه مرة ماثلاً ومرة زائلاً، بل صار كأنه روح للكلام ذاته، يبادر الروعة في كل جزء منها كما تبادرك الحياة في كل حركة للجسم الحي " فقد خرج به ذلك الفن من الكلام إلى أن يكون خلقاً روحياً، وكأنه تمثيل بالفاظ لخلقة النفس<sup>2</sup> .

لذا كان " لا بد في مثل نظم القرآن من إحضار معاني الجمل وانتزاع جملة ما يلائمها من ألفاظ اللغة ، بحيث لا تند لفظة، ولا تتخلف كلمة، ثم استعمال أسسها رحماً بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء، وأكثرها غناء، وأصفها رونقاً وماء، ثم اطراد ذلك في جملة القرآن على اتساعه وما تضمن من أنواع الدلالة ووجود التأويل ثم إحكامه على أن لا مراجعة فيه ولا تسامح، وعلى العصمة من السهو والخطأ في الكلمة وفي الحروف من الكلمة حتى يجيء ما هو كأنه صيغ جملة واحدة، وقد أديرت معانيها على ألفاظ في لغات العرب المختلفة فلبستها مرة واحدة<sup>3</sup> .

فكان النص القرآني لنا في دراسته، قويا في حجته وبيانه وذلك لـ «الدقة التامة في انتقاء الألفاظ وحسن اختيارها ووضعها في موضعها وهو ما يسمى إصابة المعنى»<sup>4</sup> لأن تميز الألفاظ للمعاني المتداولة المؤلفات أيسر بكثير

1. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي ص 152، (بتصرف).

2. السابق ص: 153.

3. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي ص: 156.

4. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص: 92

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان أطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر<sup>1</sup>.

من ذلك ما ورد في قوله . تعالى . ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٤ ﴾ (هود 44) فقد اشتملت الآية الكريمة على عدد من

الألفاظ الموحية التي يدل كل لفظ منها على عظمة الخالق، عظمة تجلت من خلال النسق الفني في الآية.

فبني الفعل (قيل) للمجهول إشارة إلى أن الأمر قد رصد إلى الكون من غير أن يسمعه من في الكون... وأوثر في نداء الأرض الياء (يا) دون الهمزة، كما أوثر تنكير الأرض لما في ذلك من تصغير أمرها، لأنها ماثلة أمام القوة العليا التي تتضاءل دون قوى الطبيعة، ويستدعي أيضا الإسراع بتلبية الأمر<sup>2</sup>.

لتجيء كلمة (ابلعي) لما يراد أن تصنعه الأرض بمائها، وهو أن تبتلعه في سرعة سريعة، بل في غمضة عين<sup>3</sup>.

وإذا عدنا إلى تلك الألفاظ: قيل، ابلعي، غيض، استوت... إلخ فإننا نستشعر عظمة الخالق . جل وعلا .،

وندرك أنه قد تقرر في العقول أنه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي والعالم السفلي إلا هو . سبحانه

وتعالى .<sup>4</sup>

ونلاحظ في ندائه للأرض والسماء أن الحس يدل على عظمة هذه الأجسام وشدتها وقوتها ولا يستعصي ذلك

على الحق جل وعلا الذي يتحكم في زمام هذا الكون وبالتالي تنقاد إلى أمره باعتباره المستولي عليها، المتصرف

فيها بواسع قدرته وعظيم إرادته<sup>5</sup>.

1. السابق ص 53.

2. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي أحمد عامر ص: 76.

3. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ص: 55.

4. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص: 114.

5. السابق ص: 115.

ولا يخفى علينا . إلى جانب ما ذكر- أن كلمة (غيض) توحى بالسرعة الباهرة، وكأن الأمر قد تم في لحظة عين، وفيها من الفصاحة والبيان ما هو ظاهر أمام العيان. واختيرت كلمة (استوت) دون (رست) لما في الاستواء من معنى الثبات والاستقرار التام، وهي أبلغ في الدلالة والتصوير، ولما فيها من معنى الاطمئنان والسلامة<sup>1</sup> .

وليست هناك كلمة أبلغ في الدلالة من كلمة (ليأخذوه) في قوله . تعالى : (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) (غافر 11)، أو تقع من الحس موقعها أو تقوم مقامها في الجزالة والدقة.

ولو استعوض عنها بغيرها مثل: ليقتلوه، أو ليحرقوه، أو لينتفوه، أو ليطرده، أو ليهلكوه... ونحو هذا، ما كان ذلك بديعاً، ولا بارعاً، فهم يريدون أن يتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل<sup>2</sup> .

أما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۗ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۗ﴾ (الضحى 6-7-8)، فقد استعمل القرآن في الآيات الثلاث الفعل (وجد) وهو من أفعال القلوب، ولم يقل مثلاً: ما كنت يتيماً، وكنت عائلاً، فسيطر الجو المعنوي النفسي على الوقف، وتهيأت للرسول p به الطمأنينة الوجدانية لتلقي الآيات الكريمة، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ ۙ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۗ﴾ (الضحى 9-10-11). وقد قال المفسرون هنا في قهر اليتيم: لا تغلبه على ماله وحقه لضعف حاله.

وقال أبو حيان: إنه التسليط بما يؤدي، ومنع اليتيم حقه.

ونرى الإيجاء النفسي لعبارة (لا تقهر) أعمق وأدل من أن يضبط بهذه التفسيرات المحدودة، فلا الظلم، ولا التسلط بما يؤدي، ولا منع الحق، يبالغ في التأثير ما يبلغه قوله تعالى: فلا تقهر، إذ يجوز أن يقع القهر مع إنصاف اليتيم، بحيث يتأثر بالكلمة العابرة، واللفتة الجارحة من غير قصد، والنبرة المؤلمة بلا تنبه، وإن لم يصحبها تسليط بالأذى أو غلبة على ما له وحقه<sup>3</sup> .

1. السابق ص: 115.

2. السابق ص: 94.

3. التفسير الأدبي للنص القرآني، مصطفى صاوي الجويلي ص: 139.

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

وهناك نوع من الألفاظ يرسم صور الموضوع، ولكن لا بجرسه الذي يليه في الأذن، بل بظله الذي يليه في الخيال، وللألفاظ - كما للعبارات - ظلال خاصة يلحظها الحس البصير، حينما يوجه إليها انتباهه، وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية<sup>1</sup>.

مثال ذلك: ﴿وَاتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءِتْيَانًا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ (الأعراف 175)، فالظل الذي تلقيه كلمة (انسلخ) يرسم صورة عنيفة للتملص من هذه الآيات، لأن الانسلاخ حركة حسية قوية<sup>2</sup>. ولم يقل مثلاً: (خرج) أو (أعرض)<sup>3</sup> ومثله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ (القصص 18)، فلفظة (يتربص) ترسم هيئة الحذر المتلفت<sup>4</sup> الذي يبدو في قلق شديد،<sup>5</sup> ولا نغفل هنا أنه يتربص في المدينة موضع الأمن والاطمئنان عادة، وإن كان هذا خاصاً بالتعبير كله، ولكن العبارة هنا تبرز قيمة اللفظ المصور للفرع في موطن الأمان<sup>6</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِآسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝٣٣﴾ (النمل 33)، فهذا وصف بديع لا تجد نظماً أوجد منه، فهؤلاء القوم يظهرون الخضوع والولاء للملكة كما عبر عنه قوله تعالى: (والأمر إليك) ونحن لا نجد في وصفهم أنفسهم أبرع مما وصفهم به القرآن، بموضع اتفاقه في هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله: (فانظري ماذا تأمرين)، وهذا إيحاء بالقدرة على إحداث الخوارق، والاستعداد لكل هول، والخبر هنا يفيد الفخر والاعتزاز، ويدل على النفوذ الواسع وشدة البأس كما عبر عنه بضمير (نحن) وقال: (أولوا قوة...) ولم يقل: (الأقوياء) لأنها أبلغ في الدلالة وأعظم أثراً في النفس<sup>7</sup>.

١. التصوير الفني، سيد قطب ص: 78.

٢. السابق 79.

٣. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 94.

٤. التصوير الفني، سيد قطب ص: 79.

٥. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص: 94.

٦. التصوير الفني، سيد قطب ص: 79.

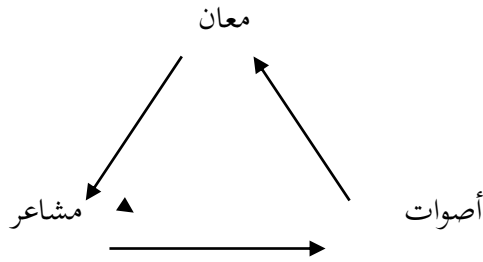
٧. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص: 93.

## 2 . المستوى الصوتي:

إن بعض القصائد تستمد إيقاعها وموسيقاها من وجود نظام داخلي ضمني غير معلن من التواترات الصوتية والدلالية المميزة، مستقل تمام الاستقلال عن التنسيق التركيبي النحوي لهذه القصائد<sup>1</sup> .

وهذا يعني أن بعض أبيات الشعر تنتظم انتظاماً صوتياً يتركز على تكرار الفونيمات المتماثلة والمتشابهة، وبذلك تكون مهمة الشاعر هي هندسة الصوت<sup>2</sup> . من خلال الجمع بين هيكلية ثلاث من مستويات مختلفة (هي الصوت، ثم الوزن والإيقاع، ثم التركيب النحوي والدلالة) وهي الشروط المثالية حتى يتوهم القارئ أن ثمة صلة وثيقة بين الصوت والمعنى، مهما كانت الفونيمات التي يستخدمها<sup>3</sup> .

والمتلقي للنص لا يتذوق الهندسة الإيقاعية الحقة إلا إذا حصل على تلاؤم بين المكونات الثلاثة التي تشكل الرؤوس الثلاثة للمثلث التالي<sup>4</sup> :



وإذا اعتمدنا على هذه الترسيم التي تمثل نوعاً ما (دورة مغلقة) نستطيع القول إن الأصوات في نظام اللغة الفونولوجي لا قيمة رمزية لها، بينما هي تثير بعض مشاعر القارئ أو المستمع في فعل كلام محدد، مكتوب أو شفهي، بالاتفاق مع المعنى.

وعليه فإن تكرار النون و(الثاء) و(الراء) في البيت الأول:

نشر الخريف على الثرى أوراقه \* فتناثرت كتناثر العبرات

<sup>1</sup> دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص 90

<sup>2</sup> السابق ص 91

<sup>3</sup> السابق ص 96

<sup>4</sup> السابق ص 110

يفضي على القصيدة جوا من الحزن الهادئ الناعم ويصور لنا خشخشة الأوراق الصفراء عند تساقطها، بينما

تكرار هذه الأصوات عينها في قصيدة "أوراق الخريف"<sup>1</sup> لميخائيل نعيمة:

تناثري تناثري \* يا بهجة النظر

يا مرقص الشمس ويا \* أرجوحة القمر

### تناثري تناثري

يوحى لنا بجو من الخفة والرشاقة والانفلات والفرح لم نعهده في قصيدة يوسف غضوب، وهكذا نفهم أن اللغة

هي نوعا ما بتصرف الشاعر وليس العكس<sup>2</sup>.

فتأثير اللفظ من حيث هو صوت لا يمكن فصله عن تأثيراته الأخرى التي تتم في نفس الوقت، فجميع هذه

التأثيرات ممتزجة بحيث لا يمكن فصل أحدها عن الآخر... ولا يوجد مقاطع أو حروف متحركة تتصف بطبيعتها

بالحزن أو الفرحة... إذ تختلف الطريقة التي يؤثر بها الصوت في نفوسنا تبعا للانفعال الذي يكون موجودا فعلا في

ذلك الوقت، بل إنها تختلف أيضا تبعا للمدلول، وتوقع حدوث الصوت نتيجة للعادة ولروتين الإحساس ليس إلا

مجرد جزء من حالة التوقع العامة، فهناك عوامل تتدخل في العملية... ولا يحدد الصوت ذاته طريقة تأثيره بقدر ما

تحدد الظروف التي يدخل فيها هذا الصوت، هذه التوقعات جميعا مرتبطة بعضها ببعض الآخر ارتباطا

وثيقا... فالصوت في معظم الحالات هو مفتاح التأثيرات الأخرى<sup>3</sup>.

وقد جمع النص القرآني " بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات

التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من خصائص الشعر

1. همس الجفون، المجموعة الكاملة. ميخائيل نعيمة 43/4

2. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص 110

3. التمثيل الصوتي للمعاني، حسني عبد الجليل يوسف ص 61

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن والتي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي، وضم ذلك إلى الخصائص الأخرى<sup>1</sup>.

وهو ما جعل القرآن على كلام فصحاء العرب، وأظهر النقص في كلام البلغاء وانحطاط مرتبته<sup>2</sup>.

فالأسلوب القرآني يحرص على التقيد بالنظم والفواصل إذا كان هناك إيقاع موسيقي في الآيات، فاللفظة المنتقاة تأتي لتؤدي تناسبا في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذلك، أو يخضع النظم للضرورات، بالإضافة إلى تألف الحروف في الكلمات، أو تناسق الكلمات في الجمل<sup>3</sup>.

فطريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ، القرآن وتألفت بها حروف هذه الألفاظ، إنما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق وصفات النبي  $\rho$ ، فجعلت المسامح لا تنبو عن شيء من القرآن ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال معه والتوفر على الإصغاء إليه، لا يستمهله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنسه الشيطان وإن كانت طاعته عبادة، فإنه إنما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا، ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعا ولا تتلوه تلاوة<sup>4</sup>. ف " أبهر القرآن بأصوات حروفه، وحروف كلماته العرب الذين اعتادوا الترسل والاحتدام في منطقتهم كيفما اتفق لهم، ولا يراعون أكثر من تكييف الصوت، دون تكييف الحروف التي هي مادة الصوت<sup>5</sup>.

وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب تنويع الصوت، بما يخرج فيه مدا أو غنة أو ليئا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على

1. روائع الإعجاز في القصص القرآني، حسني عبد الجليل يوسف ص 98

2. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،الرافعي ص 148

3. روائع الإعجاز في القصص القرآني،محمود السيد حسن ص 99

4. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي ص 147

5. السابق ص 148

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدود والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى<sup>1</sup>. والنظم الموسيقي في القرآن مما لا يتعلق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير<sup>2</sup>.

فالقرآن من حيث ترتيب حروفه لا يجمع بين الحروف القريبة في مخارجها، أو الصعبة في نطقها أو الوحشية على السمع، إذ يحرص دائما على أن ينظم الحروف في الكلمة الواحدة بما يسهل نطقه على اللسان، وما يلفظ سمعه على الأذن، فتكون له البصمة القوية على القلب والقبضة اللطيفة على العواطف.

وأصوات الحرف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها من ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضا، ويتألف منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحن الموسيقي ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده<sup>3</sup>.

هذا ما جعل النص القرآني يبلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هذا الشعور واستثارته من أعماق النفس، وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي، حتى أن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم، لتلين قلوبهم وتحنز عند سماعه لأنه فيهم طبيعة إنسانية، ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان<sup>4</sup>.

1. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي ص 149

2. السابق ص 148

3. السابق ص 148

4. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص 149

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

وألفاظ القرآن في نظمها وحركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع التركيب مجرى الحروف أنفسها، بحركات مؤتلفة من أصوات الحروف، مساوقة لها في نظم الموسيقى<sup>1</sup>.

وتعتبر هذه الموسيقى إشعاعاً لنظم الخاص في كل موضع من كتاب الله، وتابعة لقصر الفواصل وطولها كما أنها تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام الفاصلة الواحدة<sup>2</sup>.

والقرآن يتخير الأسلوب المناسب للفكرة، وينوع في نظام الفواصل والقوافي، يتنوع الموضوع الذي يعرضه، ويتبع ذلك طول الفاصلة وقصرها وطريقة بنائها اللفظي من حيث السهولة والخشونة وتخير الحرف الأخير الذي تختم به<sup>3</sup>.

وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صوراً تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في فرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت.

والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراء من العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن لأن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والنون والياء لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا فجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع.

كأنها انتهت بسكون أو حرف من الحروف الأخرى ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضوعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما يكون إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يتشبع القلقله أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي<sup>4</sup>.

والإيقاع الموسيقي يسري في كثير من سور القرآن الكريم، وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه، ويبرز بروزاً واضحاً في كثير من الصور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة

1. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 103

2. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 98

3. السابق ص 96

4. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، الرافعي ص 150

عامه، وهو ملحوظ دائما في بناء نظم القرآن، مثال ذلك قوله تعالى في صورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ ٩ فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ ۝ ١٠ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ ١١﴾ (الآيات 1/11).

هذه فواصل متساوية في الوزن تقريبا . على نظام غير نظام الشعر العربي . متحدة في حرف التفقيه تماما، ذات إيقاع موسيقي متحد تبعا لهذا وذلك، وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية، لأنه ينبعث من تألف الحروف في الكلمات أو تناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي والإدراك الموسيقي، الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع آخر، ولو اتحدت الفواصل والأوزان.

والإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقي، مسترسل الروي كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي، وهذا كله ملحوظ، وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جليا مثل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ ١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ ٢٠﴾ (النجم 19/20) فلو أنك قلت: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة، لاختلفت القافية، ولتأثر الإيقاع. وكذلك في قوله تعالى في سورة النجم: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ ٢٢﴾ (النجم 21/22). فلو قلت: ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى، لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة إذن.

ولا يعني هذا أن كلمة (الأخرى) وكلمة (إذن) زائدتان لمجرد القافية أو الوزن فهما ضروريتان في السياق لنكت معنوية خاصة وتلك ميزة فنية أخرى: أن تأتي اللفظة لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي تناسبا في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذلك، أو يخضع للضرورات<sup>1</sup>.

والأسلوب القرآني القصصي يساير نفسية النبي محمد ﷺ فالقصص الذي نزل أولا كان يعتمد على الرنين الصوتي للألفاظ، يعاونه في ذلك الفقرات القصيرة المسجوعة، وذلك لأن عاطفة النبي . ﷺ كانت في ذلك الطور قوية

<sup>1</sup>- التصوير الفني، سيد قطب ص 86

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

جياشة مندفعة، ومن هنا كانت الانتقالات الفجائية السريعة التي تظهر في القصة الواحدة، والتي تظهر في مجموعة القصص الواردة في سورة واحدة، ولذا كان القصص قصيرا جدا في هذه الفترة، وتمثل هذه السمات قصص سورة القمر<sup>1</sup>.

والقرآن الكريم يتقن انتقاء اللفظة، ويحرص أن تكون سائغة في التركيب، وقد يكون لهذه اللفظة مرادفات عدة، ولكنه يؤثر الإتيان باللفظة التي يكون معها إصابة المعنى، من ذلك ما جاء في قصة موسى مع فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهُمُّنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ۝٣٨﴾ (القصص 38).

فقد عبر القرآن بلفظة (الطين) ولم يذكر (الأجر) إذ ليس فيها من خفة التركيب إلا الهمزة وسائرهما تنافر لا يصلح مع هذا المد في الصوت ولا تركيب على قاعدة نظم القرآن<sup>2</sup>.

وإن كانت لفظه (الأجر) قد استعملها فصحاء العرب إلا أن القرآن أخرج معناها ومرادفها وآثر أن يجعله في سياق الآية لرفقتها وخفتها، ولا يخفى علينا موقع القلقلة التي هي في الدال من قوله: (فأوقد) وما يتلوها من رقة اللام<sup>3</sup>.

أما تناسق حروف القرآن وكلماته، فأمرها عجيب، ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بتناسق رصف الحروف، بعضها إلى جانب بعض في الكلمات والآيات، هذا حرف ينقر، وذلك يصفر، وهذا يخفى، وذاك يظهر، وهذا يهمس، وذلك يجهر<sup>4</sup>.

1. التفسير الأدبي للنص القرآني، مصطفى صاوي الجويني ص 150

2. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 104

3. السابق ص 104

4. التعبير الفني في القرآن، شيخ أمين بكر ص 186

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

ومن يلق سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية، وهي مرسله على وجه السداجة في الهواء، مجردة من هيكل الحروف والكلمات، كأن يكون السامع بعيدا عن القارئ يشعر من نفسه . ولو كان أعجميا. بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى، وترنيم الشعر<sup>1</sup> .

والنص القرآني يتنوع في نظام الفواصل والقوافي، كما تتعدد ألوان الإيقاع الموسيقي، في السور المختلفة، أو في السورة الواحدة<sup>2</sup> .

فأما تنوعه في السور فيختلف بالقياس إلى الفواصل بين الطول والتوسط والقصر، وهو أشبه باختلاف بحور الشعر في الديوان الواحد. وقصارى ما يقال فيه: إن الفواصل تقصر غالبا في السور القصار، وأنها تتوسط أو تطول في السور المتوسطة والطول<sup>3</sup> .

وبالقياس إلى حروف القافية، يشتد التماثل والتشابه في السور القصيرة ويقل غالبا في السور الطويلة. وتغلب قافية النون والميم وقبلهما ياء أو واو (.. ين/.. ون) على جميع القوافي في سور القرآن. وذلك مع تعدد الأساليب الموسيقية ولو تشابهت القوافي في السور المختلفة<sup>4</sup> . وأما تنوع هذا النظام في السورة الواحدة، فإنه ليس لمجرد التنوع، بل له معناه الخاص به<sup>5</sup> .

ومن ذلك ما جاء في سورة مريم، فالقصة تبدأ بقصة زكريا ويحيى، وتليها قصة مريم وعيسى، وتسير الفاصلة والقافية، وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول، ويتغير نظام القافية فتصبح بحرف النون أو بحرف الميم وقبلها مد طويل، وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة مستمدا منها، ولهجة الحكم تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراض وتقتضي إيقاعا قويا رصينا بدل إيقاع القصة الرضي المسترسل، وكأنما لهذا

1. التعبير الفني في القرآن، شيخ أمين بكر ص 185

2. التصوير الفني، سيد قطب ص 88

3. السابق ص 89

4. التصوير الفني، سيد قطب ص 89

5. نفسه ص 89

السبب كان التغيير. وبمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار، عاد إلى النظام الأول في القافية والفاصلة، لأنه عاد إلى قصص جديد<sup>1</sup>، على النحو التالي: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٣٨ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٣٩ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٤٠ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢ ﴾ (مريم 42/38).

والأسلوب الموسيقي في الآية يأتي مناسباً لسياقها، فموسيقى الطوفان تأتي طويلة الموجة و متموجة، بما يزيد الجملة على التمرج العمق والسعة، ويحملها الهول والشجى<sup>2</sup>، مثل قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يُبَيِّنُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَضِينَ ٤٣ ﴾ (هود 43 / 42) إن التكوين الموسيقي للجملة ليذهب طولاً وعرضاً في عمق وارتفاع، ليشارك في رسم الهول، العريض العميق، والمدات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق<sup>3</sup>.

وهناك نوع آخر من الموسيقي يظهر في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ٢٧ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ (الفجر 30/27).

فالآيات ضمت من المدود: يا . ها . جعي . إلى . را . خلي . في . عبا . دي . خلي . تي .

وضمت من التشديد: أيتها . النفس . المطمئنة . ربك . ضية . جنتي .

وضمت من النونات: النفس . مطمئنة . راضيتن . مرضيتن . جنتي .

وضمت من حركات الكسرة: جعي . ربك . خلي . في . دي . خلي . نتي .<sup>4</sup>

1. التصوير الفني سيد قطب ص 90

2. التصوير الفني سيد قطب ص 93.

3. السابق ص 93.

4. السابق ص 94.

فلنتأمل الحركات التي جاءت بها الآيات، ثم نتصور أن الميت مسجى في كفن، والقبر فاغر فاه، ينتظر ضيفه الجديد، ليضمه حيناً من الزمن، ثم يسلمه إلى الأبدية الخالدة التي لا نهاية لها، وتصور كذلك الدموع الصامتة يذرفها الأهل والأحباب لفراق عزيز أو حبيب، عاش معهم حيناً من الزمن، ثم فارقهم إلى سفر طويل، لا عودة منه، وتصور الصراع النفسي في قلوبهم: فرح فيما هو مقبل عليه من رحمة الله ونعيمه، وحزن إنساني لا بد منه عند الوداع، فهل نجد أوقع أثراً، وأدق تعبيراً عن هذا الموقف الجليل، وهذا الحزن، وتلك الدموع، وذلك الأمل العريض مما جاءت به تلك المفردات بكل ما حملت من مدود، وشدات، وغنات، وحركات كسر ونونات؟! فهذه الآيات في رصف حروفها وترتيب مفرداتها، وفي مجموعها وتناسقها، قد مزجت بين الحزن والرضى والطمأنينة مزجاً تاماً<sup>1</sup>.

ولو تدبرت ألفاظ القرآن. عموماً. في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها البعض، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيا كان، فلا تعذب ولا تساغ، وربما كانت أوكس النصيبين في حض الكلام من الحرف والكلمة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبيًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقًا في اللسان، واكتنفها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة.

من ذلك لفظة (النذر) جمع نذير، فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن حبسأة هذا الحرف وبنوه في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتقى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا

<sup>1</sup> التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين ص 183

بِالنُّذْرِ ۞ (القمر 36)، فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف وأجر حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقة في دال (لقد)، وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيها دراء الطاء إلى واو (تماروا)، مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لحفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليها مستخفا بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة. ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر)، حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلط ولا تنبو فيه، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في كلمة (النذر)<sup>1</sup>.

وهذا الجمال الصوتي، والتناسق الفني، والإيقاع الموسيقي هو أول شيء أحسسته الأذن العربية يوم نزل القرآن وتلاه - p -، ولم تكن من قبل عهدت مثله في منشور الكلام ومنظومه. خيل إليهم أول الأمر أنه شعر، لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجييعه لذة، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع هزة، لم يعرفوا قريبا منها إلا في الشعر، ولكن سرعان ما عادوا إلى تخطئة أنفسهم فيما ظنوه شعرا، حتى قال قائلهم - وهو الوليد بن المغيرة -: {وما هو بالشعر} معللا ذلك بأنه ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده<sup>2</sup>.

ذلك أن صوت النفس طبيعي في تركيب لغتهم، وإن كان فيها إلى التفاوت كمالا ونقصا، وصوت الفكر لا يعجزهم أن يستبينوه في كثير من كلام بلغائهم، أما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريجه وانفرد به القرآن وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ افتنوا في اللغة وأساليبها ولكنهم لا يجدون البيان به في ألسنتهم! لأنه الكمال اللغوي الذي تعاطوه ولم يعطوه، وإنما كانوا يبتغون الحيلة إليه بألوان من العادات وضروب من التعبير النفسي، إذا هي اتصلت بالحس البياني الذي ميزتهم به الفطرة أشبهت أن تكون استواء حسيا، وبهذه أخلص إليهم كلام شعرائهم

1. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،الرافعي ص 156-157

2. التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين ص 176

وخطبائهم. وبلغ من أنفسهم ومازجها، وكان منها في محل وموقع! على أننا نقرأ اليوم أكثره ولا نجد بتلك المنزلة<sup>1</sup>

### 3. المستوى التركيبي:

ومن الناحية التركيبية فإن القرآن نظم ألفاظه نظماً متميزاً، جعله ينفرد ويتفوق على كل النصوص الأخرى، كما تفرد بألفاظه البليغة بجرسها الدلالي والموسيقى "فروعة التركيب لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطبقه الناس ولولا لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ نراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها ثم إلى تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب، ولولا تلك لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني في النفوس"<sup>2</sup>.

وحين تنظر في تركيب النص القرآني لا ترى كيفما أخذت منه "إلا وضعا غريباً في تأليف الكلمات، وفي مساق العبارة، وبحيث تبادرك غرابتها في نفسه أو طابعها بما تقطع أن هذا الوضع وهذا التركيب ليس في طبع الإنسان، ولا يمكن أن يتهيأ له ابتداء واختراعاً دون تقدير على وضع يشبهه، أو احتذاء لبعض أمثلة تقابله"<sup>3</sup>. وإذا كان العرب قد أوجدوا اللغة مفردات فانية، فإن القرآن أوجدها تراكيب خالدة، وإذا كان لهذه اللغة معاجم كثيرة تجمع مفرداتها وبنياتها، فإنها ليس لها معجم تركيب غير القرآن، فالقرآن معجم تركيب للغة لأنه أصل فنون البلاغة كلها فما يكون في المنطق العربي نوع بليغ إلا هو فيه على أحسن ما يمكن أن يتفق على جهته في الكلام.

لذلك كان العرب يتلقون عنه البلاغة بوجدان الحاسة اللغوية وإحساس الفطرة، كما يتلقى أهل الفن الواحد

قواعد النبوغ عن المثال الذي يخرجهم لهم نابغة الفن<sup>4</sup>.

1. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،الرافعي ص 153

2. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 92

3. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، الرافعي ص 162

4. السابق ص 174

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

فالنص القرآني حوى كل التراكيب التي عرفها العرب والتي لم يعرفوها، ساعيا بذلك إلى التفرد والإعجاز.

فإذا كان بيننا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه، حتى لا يشكّل ولا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه، وأنه إلى فكر وروية فلا مزية، وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً يعد مهماً إذا أنت تركته إلى الثاني.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَصِفُونَ ۝ ١٠٠﴾ (الأنعام 100)، ليس بخاف أن لتقديم (الشركاء) حسناً وروعة ومأخذاً من القلوب، أنت لا تجد شيئاً منه إذا أنت أخرت فقلت: (وجعلوا الجن شركاء الله). وأنت ترى حالك حال من نقل من الصورة المبهجة، والمنظر الرائق، والحسن الباهر، إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل، ولا تصير النفس به إلى حاصل، والسبب في أنه كان ذلك هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير.

فمعنى الجملة أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير، حصوله مع التقديم، فإن تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن، وإذا أحرّ فقبل: (جعلوا الجن شركاء لله). لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم، بأنهم عبدوا الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ، مع تأخير (الشركاء) دليل عليه، وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن (شركاء) مفعول أول لجعل، و(الله) في موضع المفعول الثاني، ويكون (الجن) على كلام ثان وعلى تقدير أنه كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء لله تعالى؟ فقيل: الجن. وإذن كان التقدير في (شركاء) أنه مفعول أول و(الله) في موضع المفعول الثاني، وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء وحصل من ذلك في الإنكار دخول اتخاذ من الجن، لأن الصفة إذا (وجعلوا الجن شركاء لله)، كان (الجن) مفعول أول و (شركاء) مفعولاً ثانياً، وإذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصاً غير مطلق من حيث كان محالاً أن يجري خبراً على

الجن، ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم، وإذا كان كذلك احتمال أن يكون القصد بالإنكار من الجن خصوصا، وأن يكونوا شركاء دون غيرهم.

أما قوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ٦٧ ﴾ (طه 67)، وأصل الكلام أن يتصل بفاعله ويؤخر المفعول لكن آخر الفاعل وهو (موسى) لأجل رعاية الفاصلة، وللتأخير حكمة أخرى، وهي أن النفس تتشوق لفاعل (أوجس). فإذا جاء بعد أن آخر وقع بموقع<sup>1</sup> في النفس تتجسد فيه الإثارة في أسمى معانيها.

وقد يكون التقديم والتأخير في القرآن بغرض مراعاة الفاصلة كما في الآية الكريمة: ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ ﴾ (مريم 2-3-4).

فلو أردنا تقديم كلمة (مني) فنجعلها سابقة لكلمة العظم فتكون: قال رب إني وهن مني العظم، لاختل التركيب أيضا ذلك أنها تتوازن مع حرف التوكيد (إني) في صدر الفقرة، (قال رب إني وهن العظم مني). وهذا من بدیع الأسلوب القرآني<sup>2</sup>.

وفي التركيب القرآني حذف بعض الكلمات ذلك أنه يشير لدى المتلقي الرغبة في إتمام النص للحصول على العناصر المحذوفة، وتلك العناصر من بين المتطلبات التي تهم المتلقي<sup>3</sup>، وتربطه بالنص.

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٧ ﴾ (الأنعام 27)، فقد حذف جواب (لو) في هذه الآيات لأن حذفه أفخم، لذهاب المخاطب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد وتوقعه له واستشعاره إياه، ولو ذكر له ضرب منه لم يكن مثل أن يهبهم عليهم،

1. البرهان في علوم القرآن، الزركشي 63/1

2. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 100

3. علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، صبحي إبراهيم الفقي ص 209

لما يكن من توطنته نفسه على ذلك المذكور وتخفيفه عليه، ومن وطن نفسه على شيء لم يصعب عليه صعوبته على من لم يوطن عليه نفسه.

وهكذا كان إبهام الجواب بحذفه في الآيات أفخم من مقام تعظيم العذاب وتهويله على المتلقي، حيث تذهب نفسه في تقدير كل مذهب فيكون هذا أدهى لعذاب نفسي آخر أشد على نفسه من توطئها على ضرب واحد منه، وبذلك يؤدي الحذف دوره البلاغي في تكثيف المعاني ووجازة العبارة عنها بالإضافة إلى ما يوحيه من دلالات نفسية مردها ومبتغاها حيرة المتلقي وقلقه في تقدير المحذوف ومعرفة كنهه<sup>1</sup>.

وقد كان لاختلاف النظر النحوي أثره في تقدير حذف الخبر أو ذكره في موضعي (السارق والسارقة) بالرفع على قراءة الجمهور من قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨﴾ (المائدة 38).

وفي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢﴾ (النور 02)، اختار سيبويه (ت180هـ) أن يكون رفعها على الابتداء والخبر محذوف تقديره فيما يتلى حكم السارق، إذ لم يستقيم عنده أن يرتب الأمر المقترن بالفاء في مثل هذا خير للمبتدأ واختار الفراء (ت207هـ) والمبرد (ت275هـ) والزجاج (ت311هـ) أن يكون رفعها على الابتداء والخبر (فاقطعوا) على تضمين (ال) معنى الشرط، لأن القصد ليس إلى سارقاً أو زانياً بعينه. ولكن المهم هنا ينصرف إلى تلك

العلة البلاغية التي التمسها ابن المنير (ت683هـ) لاختيار سيبويه إذ رأى أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر، لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملاً حيث قال: الزانية والزاني، وأراد فيما فرض عليكم حكم الزانية

1. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد ص 302

والزاني، فلما تشوق السامع إلى تفصيل هذا المجلد ذكر حكمهما مفصلاً فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة<sup>1</sup>

وإذ عمدنا إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْفَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدُقُونَ ۙ﴾ (يوسف 82) الذي صار في البحث اللغوي والبلاغي علماً على حذف المضاف، وجدنا اعتبار المجاز فيه قائماً على التجوز في إسناد السؤال إلى غير ما هو له وعندئذ ينبغي أن ننسى أو نتناسى أن ثمة محذوفاً في التركيب أصلاً، أما إذا اعتبرنا الوجه الآخر وحملنا الآية على حذف المضاف فإن النفس البشرية تشوق دائماً إلى تقدير المحذوف فتري معناه: واسأل أهل القرية.

وكما أن النص القرآني عمد إلى حذف بعض الكلمات في بعض المواقع فإننا نجد أيضاً عمد إلى إضافة بعض الكلمات في مواضع أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۙ﴾ (الكهف 14)، فكان من الممكن أن يكتفي بقوله: (وربطنا على قلوبهم فقالوا)، فإن المتأمل في لفظة (فقالوا) ليجدها تعني مما تعنيه بدء العمل، وتعني الثبات على الأمر والتفاني في الإخلاص، وعلو الهمة، وتعني الاعتدال والاتزان، ومن ثم وقعت الكلمة موقعها المناسب، وإضافة إلى هذه الدلالات، فإن الآية في جملتها توحى بكونهم محتاجين إلى الله أن يشبتهم ويطمئنهم ويربط على قلوبهم<sup>2</sup>.

وهناك بعض الحروف الواردة في القرآن الكريم، والتي يظن أنها زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۙ﴾ (يوسف 96)، فإن النحاة يعتبرون (ما) في الآية الأولى، و(أن) في الآية الثانية زائدتين، أي في الإعراب، فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم وقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب من حسنه

1. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد ص 278

2. روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن ص 112

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

وروعته كثير. فمراد الآية الأولى تصوير لين النبي  $\rho$  مع قومه، برحمة من الله، فجاء هذا المد في (ما) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة، ومجروها (رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى، وبينه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية<sup>1</sup>.

ومن أوجه الزيادة المتواجدة في النص القرآني التكرار، وفيه يقول السيوطي: "... التكرير والإعادة أداة إبلاغ بحسب العناية بالأمر"<sup>2</sup> وينص البلاغيون على أن التكرار أحد أنواع الإطناب، يأتي في تقديرهم للإنذار والردع، كما يأتي لتعدد المتعلق مثل قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ۱۳﴾ (الرحمان 13)، وهو من نوع اللازمة، وهي الآية تتكرر مرات على مدى السورة.<sup>3</sup>

أما في سورة القمر فدللت على الأسلوب الموجز رغم أن التكرار يتردد كثيرا في الآية الكريمة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ۝ ۱۶﴾ (16 الآية)، وهو ليس إيجاز كلمات وجمل فحسب، ولكنه إيجاز موضوع. والمراد من هذا التكرار تقرير حقيقة في النفوس

تتبع ما أجمل قبلها من حديث، والتكرار في سورة القمر لم يوضح مبهما، ولم يفصل مجملا، بل أدى دوره الأدبي في التأثير الوجداني، فبقيت السورة الكريمة معه مثالا للإيجاز القوي الواضح بألفاظه، الجازم بما يثبت من تقرير وتأکید<sup>4</sup>.

هذا ويسوقنا الحديث عن التكرار للحديث عن أسلوب القرآن الكريم، وبلاغته في استخدام البيان والبديع، وأسراره البلاغية، وهذا ما سنعرض إليه فيما يأتي.

<sup>1</sup> إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، الرافي ص 159

<sup>2</sup> المزهري في علوم اللغة ، السيوطي . 332/1.

<sup>3</sup> الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، منير سلطان . ص215.

<sup>4</sup> روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن. ص 136-137

#### 4 . المستوى البلاغي :

انفردت آداب القرآن الكريم...بالأسلوب الذي تناولها فيه، مما يشبه في صفة البيان أن يكون وحيا يوحى إلى كل من يفهمه، ويقف عنده متثبنا بحال من الرأي وفحص من النظر ويأدمان التأمل، وأخذ النفس بالتردد في أضيق ما بين الحرف والحرف من المسافة المعنى لدقة النظم وبراعة التركيب، إلى ما يبهر الفكر ويملأ الصدر عجباً<sup>1</sup>.  
والأسلوب القرآني وظف المجاز فأحسن، واستعمل الكناية، والتشبيه، والاستعارة، فأصاب لأنه وظفها فأجاد توظيفها وجعلها من البلاغة ما يؤثر في العواطف. فاللفظ المستعار، إذا كان فصيحاً كانت فصاحته تلك من أجل استعارته ومن أجل لطف وغرابة كانا فيه، والاستعارة لا تحدث في حروف اللفظ صفة ولا تغير أجراسها عما تكون عليه، إذا لم يكن مستعاراً وكان متروكاً على حقيقته، والتأثير يكون من الصور البيانية عموماً، كما أن الصور البيانية ترقى بالعمل الأدبي إلى درجة من البلاغة، "فلا تتم الصورة الأدبية، ولا يعوض بالصورة المرسومة لتشخيص الحي تعويضاً كاملاً، إلا إذا أضاف إلى ذلك كله الحالة النفسية المعنوية التي تنسجم مع الوصف الشكلي الخارجي فيتناسقان تناسقاً فنياً"<sup>2</sup>.

وكل من الاستعارة والكناية تحافظان كليهما على هويتها المميزة، وأن كليهما تضيفان على الكلام طابعهما الخاص<sup>3</sup>.

فالاستعارة هي قوام التعابير البيانية المبنية على التشابه هو إظهار فكرة ما من ضمن فكرة أخرى أكثر وضوحاً وشهرة منها، لا يربطها بها إلا نوع من التطابق والتماثل. وهي تقتصر من حيث الشكل على الاستعارة فحسب، أما الكناية فهي التعابير البيانية المبنية على التوافق قوامها تسميه شيء آخر يشكل مثله كلاً مستقلاً تماماً، إلا أنه مدين للآخر أو أن الآخر مدين له بوجوده أو بطريقة وجوده.

1. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراجعي ص71

2. محاضرات في الفنون والمدارس الأدبية، صبحي صالح ص 53

3. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص 76

أما التشبيه فله صلة وثيقة وحكمة بالاستعارة، فالتماثل ذاته يعبر عنه غالباً، في النص الواحد، بالتشبيه تارة وبالاستعارة طورا.

إذا فالتشبيه هو كل صورة تشتمل على طرفين أساسيين هما المشبه به والمشبه تجمع بينهما سمة مشتركة هي وجه الشبه<sup>1</sup>.

والوصف القرآني يستخدم التشبيه لتقريب الحقائق، فقد دأبت آيات القرآن على وصف مظاهر الحشر، في الأرض تارة، وفي السماء تارة أخرى وفي الأرض والسماء تارة ثالثة، بحيث تكون في مجموع هذه الأوصاف لوحة فنية غنية، تجعل مظاهر الحشر مشاهدة مدركة تجسها النفوس<sup>2</sup>.

والتشبيه في القرآن ليس عنصراً إضافياً في كل الجملة، بل جزءاً أساسياً لا يتم المعنى بدونها، ويتطلبه ليصبح قويا، وستمد عناصره من الطبيعة مع الاختيار الدقيق للألفاظ المصورة الموحية، كما أنه قد يشبه أمراً واحداً بأمرين أو أكثر تثبتاً للفكرة في نفس الملتقي، وذلك من أجل التأثير في العاطفة تأثيراً قويا<sup>3</sup>.

ولم يهدف القرآن من التشبيه إلى التأثير فحسب، وإنما لجأ إليه للتصوير والتأثير معا. فإذا أراد القرآن أن يبين قدرة الله على أن يأتي بيوم القيامة بأسرع مما يتصور المتصورون لجأ إلى أسرع ما يراه الرائي، فتجده مثلا يؤدي إلى الهدف المراد فيقول: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٧٧﴾ (النحل 77)، وإذا جاء يوم القيامة استيقظ الناس لا يشعرون بأنه قد مضى عليهم حين من الدهر طويل. منذ فارقوا حياتهم، ويورد القرآن من التشبيه ما يصور هذه الحالة النفسية، فيقول: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ٤٥﴾ (يونس 45).

1. دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم ص 76/72

2. الوصف في القرآن الكريم ، يونس جاسم ص 27

3. التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين ص 194-195

وإذا نظرنا إلى قوة التشبيه مقترنة بقوله: (يتعارفون بينهم)، أدركنا مدى ما يستطيع أن يحدثه في النفس من أثر، وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر، يريد أن يثبت في النفس ويؤكد، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ۚ قُلْ فِيهَا مَا تُغْتَابُ بَصِيرًا ۚ إِنَّهَا آتِيَةٌ مِّنْ رَّبِّكَ ۚ إِنَّهَا عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ ۚ﴾ (الأنعام/93-95) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ۚ ﴿ (النازعات/42/46)، هاهم أولاء قد بعثوا، خارجين من أجدانهم في كثرة لا تدرك العين مداها، وما الذي يستطيع أن يرسم لنا تلك الصورة التي تدل على الغزارة والحركة والانبعاث أفضل من هذا التشبيه الذي أورده القرآن حين قال: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (القمر/07)؟!.

وحيثما يصورهم ضعافا يتهافتون إلى الداعي كي يحاسبهم، فيجد في الفراش صورتهم، فيقول: ﴿الْقَارِعَةُ ۙ مَا الْقَارِعَةُ ۙ وَمَا أَزَلَكَ مَا الْقَارِعَةُ ۙ قُلْ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۙ﴾ (القارعة/1-2-3-4). ويتناول المجرمين، فيصور ما سوف يجدونه يومئذ من ذلة وخزي، أما طعامهم فمن شجر الزقوم، يتناولونها فيحسون بغيران تحرق أمعاءهم، فكأنما طعموا نحاسا ذائبا أو زيتا ملتهبا، وإذا ما اشتد بهم الظمأ استغاثوا فقدمت لهم مياه كهذا النحاس وذلك الزيت تشوي وجوههم، قال - تعالى :: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۙ طَعَامٌ لِّالْأَيْمَنِ ۙ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۙ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ۙ﴾ (الدخان/43/46).

وقال - جلّت قدرته :: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۙ﴾ (الكهف/29)، إن هذا التشبيه ليثير في النفس خوفا و انزعاجا، فبأي حديث بعده يؤمنون؟!؟!.

وهكذا نرى أن من طبيعة التشبيه القرآني تمثيل الغائب حتى يصبح حاضرا، وتقريب البعيد النائي حتى يصير قريبا دانيا<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين ص197

## الفصل الأول ————— المستويات اللغوية للنص القرآني

ومن أمثلة ذلك وصف بيان القرآن للسماء، فهي على أبعادها البعيدة تطويها القدرة الإلهية في يوم الحشر كما يطوي الكاتب صفحة من كتاب، وإن كانت في آيات أخرى تشق بالغمام ثم تصبح واهية، أما نجوم السماء اللامعة المتألقة في الآفاق فإنها تنطمس، والقمر يزول...، مظاهر مروعة فعلا<sup>1</sup>. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ۝١٠٤﴾ (الأنبياء 104).

ووصفت النار في القرآن بذكر أجزاء منها ، وشبهت بما يراه الإنسان في واقع الحياة وكان اغتراف مادة هذه التشبيهات من الواقع لتكون أوضح في التخيل ففي سورة المرسلات توصف النار بأنها ظل ذو ثلاث شعب لعظمه ، وأنه لا مظل من حر ذلك اليوم وحرارة النار فيه ، ولا مغن عنهم من حر لهيبها شيئا ، إنها متقدمة يتطاير شررها وكأنه الحصون . كما قال ابن مسعود . وإنه كالإبل السود أو أصول الشجر، إنه منظر رائع يصفه القرآن ويجسده بتشبيه حسي موح. قال تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْتِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾ (المرسلات 30/33).

هذا عن التشبيه، أما الاستعارة فهي لون من ألوان التصوير في القرآن، وهي من الأدوات المفضلة لديه، ومن خلالها كان يعبر عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس، فهو يعتمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيه ألوانها وظلالها ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار فإذا هي شاخصة تسعى<sup>2</sup>.

فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية، لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه. وتصور المنظر للعين، وتنقل الصورة للأذن، وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا، وحسبنا أن نقف عند بعض هذه الألفاظ المستعارة الموحية، ونتبين سر اختيارها، قال سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ (الكهف 99). فكلمة (يموج) لا تقف عند حد استعارتها لمعنى (الاضطراب)، بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس، احتشادا لا تدرك العين

1. الوصف في القرآن الكريم ، يونس جاسم ص28

2. التعبير الفني في القرآن بكري شيخ أمين ص 197



وقد سلكت الاستعارة القرآنية سبيل التهكم بدل أسلوب المدح الذي عرفت به في شتى ضروب الأدب<sup>1</sup>.  
ومن الصور البيانية التي كان لها نصيب في النص القرآني الكناية، حيث قامت بدورها الكامل في آداء المعاني خير الآداء، وتصويرها أحسن التصوير. وهي حيناً راسمة مصورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما ينبو عن الآذان سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعنى الكبير في اللفظ اليسير، وكثيراً ما تعجز الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية.  
من الكنايات المصورة الموحية قوله . تعالى :: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ ٢٩﴾ (الإسراء:29)، الغل هو القيد، وغل اليد إمساكها عن الإنفاق كأنها مقيدة، وهو كناية عن الشح والبخل، وبسطها كناية عن البذل والإنفاق، وكل البسط كناية عن التبذير والإسراف<sup>2</sup>.  
وقد كان التعبير عن البخل باليد المغلولة حد العنق " تصويراً محسوساً لهذه الخلة المذمومة في صورة بغیضة منفرة. فهذه اليد التي غلت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذي لا يستطيع يده أن تمتد بإنفاق ولا عطية. والتعبير ببسطها كل البسط يصور هذا المبذر الذي لا يبقى من ماله على شيء، كهذا الذي يبسط يده فلا يبقى بها شيء. وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قويا مؤثراً<sup>3</sup>.  
وتصف آيات سورة القلم المعرضين عن الحق وصفا كنائياً يعمور بالحوية والإيحاء، ويشير من نحو إلى السبب الذي قادهم إلى موقف الذل والصغار، فأبصارهم خاشعة ذليلة كليلية، لا تقوى على ذل وهوان. هذا الوصف يجسد ذلك الندم الذي يصيب المجرم يوم تنكشف له الحقائق، تعبيراً عما في النفوس من عظم الخطب وشدة الأمر<sup>4</sup>.  
{وقال ابن عباس عن تلك الوقفة إنها أشد ساعة تكون في يوم القيامة، حيث تبدو الأعمال<sup>5</sup>}، وهكذا اقترن وصف ساعة الهول بتلك الصورة الفنية للأبصار الخاشعة التي ترهقها الذلة والشنار. قال . تعالى :: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ

1. التعبير الفني في القرآن بكري شيخ أمين ص 199-200

2. أسلوب الوعيد في القرآن الكريم ، عبد الحلیم حنفي ص 125

3. امن بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي، ص 266

4. الوصف في القرآن، يونس جاسم ص 31

5. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني ص 538

## الفصل الأول \_\_\_\_\_ المستويات اللغوية للنص القرآني

عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٢ خُشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَ هَفُّهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ٤٣ ﴿ (القلم 42-43).

بهذا النظم البليغ، والأسلوب الرائع الخلاب، اكتسى القرآن الكريم مسحة لفظية بهرت العرب بجمالها، فأعجزت أساطين فصحاءهم، وأعيت مقاويل بلغائهم، وأخرست ألسنة فحول البيان منهم. كل ذلك كان في زمن تصدر فيه العرب ميادين الفصاحة، وامتلكوا فيه ناصية البيان.

## الفصل الثاني

### تجليات الإثارة الوجدانية في مستويات في القرآن

- المستوى المعجمي
- المستوى الصوتي
- المستوى التركيبي
- المستوى البلاغي

## المستوى المعجمي:

قد يتوهم أحد أنه قد يترادف لفظان في معنى واحد، ولكن لكل لفظ معناه، ويبدو ذلك جلياً من خلال القرآن الكريم، فالنص القرآني يتميز عن غيره باختيار الألفاظ اختياراً حسناً محكماً، مناسباً تمام المناسبة للسياق، فيؤدي بذلك وظيفته البلاغية التي يقصدها، فسياق التشريع غير سياق التحويل، وسياق التحويل غير سياق الترهيب، وسياق الترهيب غير سياق الترغيب ...

جاء في سورة الأعراف: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ١١١﴾، (الأعراف 111) وجاء في موضع آخر: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٣٦﴾ (الشعراء 36)، قد يقرأ أحد هاتين الآيتين و يتساءل: ماذا لو تأتي آية الأعراف بلفظ (ابعث)، أو أن تأتي آية الشعراء بلفظ (أرسل).

فيكون الجواب: إن الفعل (أرسل) له ما ليس للفعل (ابعث) وذلك لأن " (الإرسال) أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل، أما (البعث) فلا يتضمن ترتيباً<sup>1</sup>، فقد يكون من فوق إلى أسفل كما يمكن أن يكون العكس، أي من أسفل إلى أعلى، والسياق الذي وردت فيه آية سورة الأعراف كان عن "كلام قاله فرعون والملائكة من قومه، فهو كقوع الحافر على الحافر، أي أن هذا الكلام قاله فرعون ابتداءً ثم قاله الملائكة، إما بطريقة الحكاية لأولادهم وغيرهم، وإما بطريقة التبليغ لسائر الناس"<sup>2</sup>، لأنه تعالى عنهم وتكبر ولم يخاطبهم بنفسه، فكان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم به المخاطب كما فخم في تحميله مائة<sup>3</sup>، فكان كلام الملائكة هنا نقلاً عنه، أي "حكاية ما تولاها فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه وتسوية قدرهم بقدره لقوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ (الشعراء 34)، كان هذا الموضع مخالفاً للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم فخص بالفضل الذي ليس فيه ما في الأول من تعظيم وهو قوله: (ابعث)"<sup>4</sup>، فالفعل (أرسل) إذن يأتي في سياق التفخيم لصاحب الأمر، أي علو مرتبة الأمر على المأمور، أما الفعل (ابعث) فيأتي في سياق التفخيم، كما يأتي في سياق المساواة، أي مساواة المرتبة بين الأمر والمأمور، ولعله يصح أن نقول: أن الفعل (أرسل) يستعمل للخاصة، أما الفعل (ابعث) فيستعمل للعامة، كما يصح أن نقول: أرسل الرسول، وبعث الرسول، فأرسل الرسول تكون بمعنى إرساله إلى الملوك، أما بعث الرسول أي بعثه للعامة، ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ١١٢﴾ (الأنعام 112)، وقوله في نفس السورة: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ١٣٧﴾ (الأنعام 137)، فكلمة

1. درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي ص: 125.

2. روح المعاني، الألوسي 8 / 297.

3. درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي ص: 125.

4. درة التنزيل و غرة التأويل، الإسكافي ص 125.

(ربك) جاءت مناسبة لما قبلها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ۝۱۱۲﴾ (الأنعام 112)، فهي تذكر عداوتهم له-عليه الصلاة والسلام- كسائر الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-، عداوة لو شاء منعهم عنها فلا يصلون إلى المضرة أصلا، فهذا المقام يقتضي ذكره . جل شأنه هذا العنوان إشارة إلى أنه مريبه ρ وهو في كنف حمايته، وإنما لم يفعل . سبحانه . ذلك لأمر اقتضته حكمته<sup>1</sup> .

وأما الآية الأخرى فإنها جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝۱۳۶﴾ (الأنعام 136)، فناسب ذكره عن اسمه بعنوان الألوهية التي تقتضي عدم الاشتراك، فكانه قيل ضمنا: إذا كانوا فعلوه من أحكام عداواتك من فنون المفسد لمشيئة ربك . جل شأنه . الذي لم تزل في كنف حمايته وظل تربيته فاتركهم وفتواهم، أو ما يفترونه من أنواع المكائد، ولا تبال فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة، ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته على الحكم البالغة البتة<sup>2</sup> . واسم الجلالة (الله) جاء في موضع لا يفيد في مكانه غيره، وهو الاسم الذي يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء، فلفظ (الله) يأتي في موضع إثبات وحدانية الله -سبحانه وتعالى-، وتحقيقا لألوهيته المطلقة، أما لفظه (رب) فتأتي في موضع التربية، ومثل ذلك قولنا: (رب الأسرة) كناية عن الوالد أو الأب الذي يرمى أبناءه ويربيهم، ولا يصح أن نقول (الله الأسرة).

وفي سورة البقرة جمع الله بين الناس والحجارة في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝۲۴﴾ (الآية 24)، لقد آثرت الآية الكريمة استعمال لفظه (الحجارة) دون سواها من الألفاظ مثل الخشب الذي نعرف عنه أنه وقود النار، وسر هذا الجمع بين الناس والحجارة في هذه الصورة المقرعة الرهيبة للنار التي أعدت للكافرين الذين ذكروا في أول السورة أنهم ختم الله على قلوبهم، وعلى أسماعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، والذين يتحداهم القرآن هنا فيعجزون، ثم لا يستجيبون...فهؤلاء الكافرون إذن هم حجارة من الحجارة، وإن بدوا في صورة الآدميين وشكل البشر، فهذا الجمع بين الحجارة من الحجر والحجارة من النار هو الأمر المنتظر.

على أن ذكر الحجارة هنا يوحى إلى النفس بسمة أخرى في المشهد المفرع، مشهد النار التي تأكل الأحجار ومشهد الناس الذين تراحمهم هذه الأحجار في النار...<sup>3</sup>

وربما جاءت لفظه (الحجارة) لأنها إذا وضعت في النار تحولت إلى جزء منها، وتزيد في قوتها وحرارتها، وتطيل في عمرها ...

1. روح المعاني، الألويسي 491/1.

2. السابق 490/1.

3. في ظلال القرآن، سيد قطب 20/1.

وفي سورة الواقعة جاءت الآية الثانية عشر منها بلفظ (في جنات النعيم)، دون جنات الخلود ونحوه... قيل خبر ثان لاسم الإشارة وتعقب بأن الإخبار فيها بعد الإخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية ، وأجيب بأن في الإخبار الأول إشارة إلى اللذة الروحانية، وفي الإخبار الثاني إشارة إلى اللذة الجسمانية، (في جنات النعيم) متعلق بما سبقه (مقر بون)، أو بضمير حال من ضميره، أي (كائنون في جنات النعيم)، وعلى الوجهين فإن فيه إشارة إلى أن قربهم محض لذة وراحة، لا كقرب خواص الملك القائم بأشغاله عنده كقرب جلسائه وندمائهم الذين لا شغل لهم...، ولذا قيل: (في جنات النعيم)<sup>1</sup>، ولعل المراد بلفظ (النعيم) هو الراحة النفسية التي يشعر بها أصحاب

الجنة في أعماقها، فمن الممكن أن تكون الراحة الجسدية دون الراحة النفسية فلا تكون، ولا يشعر صاحبها بالنعيم، وإنما الراحة الحقيقية في النفوس .

ومن الكلمات التي أثرها النص القرآني في الاستعمال كلمة (أخيه) في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۖ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨﴾ (البقرة 178)، أي "يترك له ويصفح عنه من الواجب عليه، وهو القصاص في القتل العمد، ورضي بالدية في القتل العمد، وقوله: (من أخيه) أي من دم أخيه، وأراء بالأخ المقتول"<sup>2</sup> .

ويجوز أن يتعلق (من أخيه) بالفعل، كما يجوز أن يكون حالا من شيء، "وفي إقامة شيء مقام الفاعل على إشعار بأن بعض العفو، كأن يعفو عن بعض الدم أو يعفو عنه بعض الورثة كالعفو التام في إسقاط القصاص، لأنه لا يتجزأ، والمراد بالأخ ولي الدم، سماه أخا استعطافا بتذكير أخوة البشرية والدين، وقيل المراد به المقتول، والكلام على حذف المضاف أي من دم أخيه، وسماه أخا القاتل للإشارة إلى أن أخوة الإسلام بينها لا تنقطع بالقتل"<sup>3</sup> .

"العفو يكون بقبول الدية من أولياء الدم بدلا من قتل الجاني، ومتى قبل ولي الدم هذا ورضيه، فيجب إذن أن يطلبه بالمعروف والرضى والمودة، ويجب على القاتل (إن استطاع)، أو وليه أن يؤديه بإحسان وإجمال وإكمال، تحقيقا لصفاء القلوب، وشفاء لجراح النفوس، وتقوية لأواصر الأخوة بين البقية الأحياء"<sup>4</sup> . فكان من الممكن أن تأتي الآية: فمن عفي له من المقتول شيء، فتكون تذكيرا بالمقتول، وبذلك تزداد رغبة وليه في الأخذ بالثأر، كما أنه قد يحس بنوع من الانهزام وضياع الحق، فيرغب في استرداد حقه من القاتل بأن يقتله، وكلمة (المقتول) تفتح الجروح وتزيد في عمقها، وتقيم حواجز بين القاتل وولي المقتول وتثير العداوة بين الأحياء. ولما جاءت الآية على

1. روح المعاني ، الألويسي 27 / 205.

2. معالم التنزيل ،البغوي 1/196.

3. روح المعاني ،الألويسي 2 / 110.

4. في ظلال القرآن ،سيد قطب 1/178.

هذا النحو الذي عليه، لمست مشاعر الأخوة فأيقظتها، فكانت سبيلا للحد من هدر الدم وإرجاع الأخوة الإنسانية بينهما والإسلامية.

وكلمة (من أخيه) "حركت العاطفة الإنسانية عند السامع أو القارئ تجاه سائر إخوانه... وحركت فيهم كوامن الرحمة والرأفة، ونبهت إلى الرحم الموصولة بين جميع أفراد البشر، وأثارت دوافع محفوظة مقدسة"<sup>1</sup>.  
فالأخوة لفظة تحمل كل معاني الرحمة والرأفة، وفيها إيحاء بتلك الروابط القوية التي تربط بين الناس من حيث هم بشر، فضلا عن الرابط الأقوى والعلاقة الأوطى التي يقيمها الدين الإسلامي.

أما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ١٦٥﴾ (البقرة 165)، أي " لا يعد لون عنه إلى غيره، بخلاف المشركين فإنهم يعد لون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد، فيفزعون إليه، ويخضعون له، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه، فيقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره، أو يأكلونه كما أكلت باهتة إلهها منحيس عام المجاعة"<sup>2</sup>.

"والمؤمنون أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنما، ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى"<sup>3</sup>.

وقد أتت الآية على (حبا) ولم تأت على أحد الألفاظ المرادفة لها، وقد تتجاوزها في قوة المعنى مثل (الشغف، الصباية، الهيام...) فهذه الألفاظ تحمل معنى الحب في أقصى درجاته، ولكن الآية رغم هذا جاءت على لفظ (الحب)، لأن الحب بمعنى: الحب المطلق من كل موازنة، ومن كل قيد، إنهم أشد حبا لله من كل حب يتجهون به إلى سواه.

"والتعبير بالحب تعبير جميل، فوق أنه تعبير صادق، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب، صلة الوشيجة القبلية، والتجاذب الروحي، صلة المودة والقربى، صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود"<sup>4</sup>.

فالحب جاء للدلالة على صدق المودة بين المؤمن الصادق وبين خالقه، كما تدل على القرب الروحي، وتعلق وجدان المؤمن بالله، ودوام هذا الرابط الذي يصل المؤمن بربه أما الآية السبعون بعد المئة من سورة البقرة فاختارت لها لفظ (ألفينا)، و ذلك في قوله . تعالى . متحدثا عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠﴾، وفي سورة لقمان

1. ينظر "منهج تربوي فريد في القرآن": البوطي ص 69.

2. الكشاف، الزمخشري 152/1.

3. معالم التنزيل، البغوي 178/1.

4. في ظلال القرآن، سيد قطب 166/1.

جاءت الآية نفسها بلفظ (وجدنا) مكان (ألفينا) فما الذي دعا إلى هذا الاختلاف؟!!! ، وهل بالإمكان أن تأتي الآية الأولى بلفظ (وجدنا) بدل (ألفينا)؟.

ففي الآية الأولى (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا)، "اكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فأباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا، وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووزان بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً"<sup>1</sup>.

وفي قوله: (ألفينا) يقصد بها بعض الوجوه التي يستعمل عليه (وجدنا)، لأنه يقال: وجدت الشيء، فلا تحتاج إلى مفعول ثان إذا وجدته عن عدم، ولوجدان الضالة تقول: وجدت الضالة، وتقول: وجدت زيدا عاقلاً، فيكون الوجود متعلقاً بالخبر الذي هو المفعول الثاني، ولا بد له في هذا الوجه منه، ولا يكتفى بالمفعول الأول، وأما في قولهم: (ألفينا) فإنها مخصوصة بهذا الوجه منه من وجوه (وجدت)، فلا يقال: ألفيت درهما بمعنى: وجدت درهما، ولا ألفيت الضالة بمعنى: وجدتها، إنما يقال:

ألفيت زيدا عاقلاً، وألفيته على الهدى وعلى الضلالة، فكان في الموضع الأول استعمال اللفظ الأخص الأول وتأخير اللفظ المشترك إلى المكان الثاني أولى<sup>2</sup>، فلفظ (ألفينا) يختص بإيجاد الشيء من عدم، أي في الآية الأولى: أن المشركين قد اتبعوا آباءهم اتباعاً من غير أعمال عقولهم، تقليداً من دون اقتناع، ولفظ (وجدنا) معناه أن المشركين قد اتبعوا آباءهم عن قناعة، وبعد تفكير. فوجد تأتي بمعنى وجود الشيء بعد فقدانه، كما تأتي بمعنى إيجاد الشيء من عدم.

وجاء في سورة البلد: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأْتُ﴾ (الآية 06)، ولم يقل: (أنفقت) أو أحد الأفعال الأخرى القوية منها في المعنى، " وذلك لأن الإهلاك أولى بالغرور والطغيان، وأنسب لجو المباهاة والفخر المسيطر على المقام"<sup>3</sup>. والإهلاك أشد وقعا من الإنفاق، فالإنفاق يكون بإرادة المنفق، وإن كان بغير إرادته، فيأمل أن يعود له ما أنفق. أما الإهلاك ففيه ذهاب المال بغير إرادة صاحبه وصعوبة عودته..

إن القرآن الكريم قد أحسن اختيار الألفاظ، فاستعمل منها ما يعزف على أوتار الأحاسيس، ويتربع على القلوب، بمعان بليغة حيث وظف الألفاظ التي تعمل على هز المشاعر الدافعة كالفرح، والأمل، والرغبة. والمشاعر الرادعة كالخوف، والرغبة، والإشفاق. أو المشاعر الممجدة كالإعجاب، والحب، والتقديس.

كل ذلك جعله يبلغ هدفه الأسمى، فيسلب القلوب، ويشغل الأبواب، ويتفوق على كل النصوص. ولأن أصوات الحروف جزء لا يتجزأ من معاني الألفاظ، فستحدث فيما سيأتي عن الجانب الصوتي في القرآن الكريم ودوره في الإثارة الوجدانية.

<sup>1</sup>. تفسير السعدي ، 81/1.

<sup>2</sup>. درة التنزيل و غرة التأويل ، الإسكافي ص 31.

<sup>3</sup>. التفسير البياني للقرآن الكريم ، بنت الشاطي ص 187.

## 2-المستوى الصوتي:

بالإضافة إلى الجرس الدلالي، فإن للألفاظ في النص القرآني جرسها الصوتي، حيث يعمل الصوت في الكلمات على التأثير في الملتقي، واستمالاته، (والأذن تعشق قبل العين أحياناً).

كما حرص الخطاب القرآني مع الانتقاء الدقيق لمعاني الألفاظ، على انتقاء الكلمات ذات الحروف الأسهل مخارج، والأبلغ وقعا.

فقد اختار أن يفتح سورة الرحمن بلفظ (الرحمن) دون الأسماء الحسنى الأخرى "وقصده بلفظه ومعناه، وإيقاعه وموسيقاه" <sup>1</sup> . "وقيل: أن السورة نزلت حين قالوا: وما الرحمان؟!، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر" <sup>2</sup> .

وقد افتتحت السورة باسم الرحمن معجزة من باب الرحمة، فكان " فيه تشويق جميع السامعين إلى الخبر الذي يخبر به عنه، إذ كان المشركون لا يألون هذا الاسم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان 60)، فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من الخبر عنه، والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشرفوا لما سيرد من الخبر المناسب لوصفه، هذا مما هم متشوقون إليه من آثار رحمته" <sup>3</sup> .

وأثر استحضر "الجلالة باسم (الرحمن) دون غيره من الأسماء لأن المشركين يأبون ذكره، فجمع في هذه الجملة بين ردين عليهم . مع ما للجملة الاسمية من الدلالة على ثبات الخبر، ولأن معظم هذه السورة تعداد للنعم والآلاء فافتتاحها باسم الرحمن براعة استهلال" <sup>4</sup> .

"ف" الرحمن هو مطلع مقصود بلفظ ومعناه، وإيقاعه وموسيقاه، هو الرنين الذي تتجاوب أصداؤه الطليقة المديدة في أرجاء هذا الكون، وفي جنبات هذا الوجود.

الرحمن: هو الإيقاع الصاعد الذاهب إلى بعيد، يجلجل في طباق الوجود، ويخاطب كل موجود، ويتلفت من رنته كل كائن، وهو يملأ فضاء السماوات والأرض، ويبلغ إلى كل سمع وكل قلب...<sup>5</sup> .

فلفظ الرحمن مقصود لفظاً ومعنى لإثارة الانتباه حيث يجعل السامع له يترقب وينتظر بلهفة إلى ما سيليه، فهي بمثابة نداء علوي، وإعلان للاستماع لكلام الله، ورنه الإعلان تتجلى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها، تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويب إلى بعيد، كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما يأتي بعد المطلع من أخبار.

<sup>1</sup> في ظلال القرآن، سيد قطب 92/7.

<sup>2</sup> تفسير البغوي 438/7.

<sup>3</sup> التحرير و التنوير ،محمد الطاهر بن عاشور 272/7.

<sup>4</sup> السابق 272/7.

<sup>5</sup> الظلال 93-92/7.

"والرحمن كلمة في معناها الرحمة ، وفي رتتها الإعلان"<sup>1</sup> ، برحمة الله تعالى، آلائه الكثيرة على عباده ، فعند قراءة سورة الرحمن، تبدأ بلفظ الرحمن، وهو صوت سلس، فإنك ستجعل حتى المشركين ينتظرون لما يأتي بعدها، ويترقبون الآيات الأخرى بكل تشوق، و وهي إثارة صوتية ناجحة في جذب الانتباه وإثارتته، و يتغير الإيقاع في نفس السورة: ﴿سَنَفَرُغُ لَكُمْ آيَةَ النَّفَّلَانِ ٣١﴾ (الرحمن 31)، تعبير قصد من وراء إيقاعه الوعيد، "فالله ليس مشغولا فيفرغ ، وإنما هو تقرب الأمر للتصور البشري ، وإيقاع الوعيد في صورة مذهلة مزلزلة، تسحق الكيان بمجرد تصورهما سحقا، فهذا الوجود كله نشأ بكلمة ... كلمة واحدة ... كن فيكون ... وتدميره أو سحقه لا يحتاج إلا واحدة كلمح البصر ... فكيف يكون حال الثقلين والله يفرغ لهما وحدهما ليتولاهما بالانتقام"<sup>2</sup>!!! .

"والنسق الملحوظ في سورة الرحمن عموما هو ظاهرة التثنية وما تستتبعه من الازدواج والتقابل، تصريحاً وتلويحاً ... وقارئ هذه السورة أو سامعها يستشعر هذا ولو

لم يملك التعبير عنه، فما كانت أمارات التثنية لتخفى عليه في كثير من أفعال السورة وأسمائها وضمائرها، ولا في كثير مما ورد فيما اختير لألفاظ منها مفردة، أو مجموعة من صيغ المثنيات: لزيادة الإيقاع بمد الصوت، وترجيع صدهاء وإطلاق الرنين إلى أقصى مداه"<sup>3</sup> .

فسورة الرحمن هي مثيرة بأسمائها وبآياتها، وتحرك كل الأحاسيس عند سامعها أو قارئها، فيها ما ليس في بقية السور، تميزت بألفاظها، وحروف كلماتها، وأصواتها العذبة الآسرة.

ويأتي الإيقاع في سورة الواقعة ليكون له وقعته على الحس الإنساني كأنه جسم ثقيل سقط من ارتفاع عال ثم استقر، وذلك لما في اللفظ من معنى وجرس (مد ثم سكون)، ثم إن هذا السقوط كأنما يتوقع له الإحساس "أرجحة ورجحة يحدثها حين تقع"<sup>4</sup> .

وفي السورة آيات استثمرت فيها "خفة الوزن، وقوة الإيقاع على الفكر والنفس، حيث كانت على شكل جمل قصيرة رشيقة تشكل مهمازا للخيال الواهن أن يفيق، وقد غلفت هذه الأفعال بالظرف كبداية للحشر، ثم برز الإنسان"<sup>5</sup>. و نقصد بهذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢﴾ (القيامة 12/7) ، فهذه المشاهد إنما " تستمد قوتها وإيقاعها في النفس، من قوة الحقيقة الكامنة فيها، وقوة الأداء القرآني

1. السابق 92/7.

2. السابق 102/7.

3. ينظر: محاضرات في الفنون و المدارس الأدبية ،صبحي صالح ص78.

4. الظلال 106/7.

5. الوصف في القرآن الكريم ، يونس جاسم ص26.

الذي يشخصها ويحييها، والسورة بعد عرض تلك المشاهد تقرب وتقرب حتى تلمس حس المخاطبين بمشهد آخر حاضر واقع مكرور، لا تمر لحظة حتى يواجههم في هذه الأرض بقوته ووضوحه ووزنه الثقيل<sup>1</sup> . ولعل اسم السورة اختير لما فيه من قوة استمدها من حرف (القاف) الموجود في الاسم، وهو حرف قوي، يوقظ الحس ويحرك النفس، وقد جاءت السورة في شكل جمل قصيرة تصور مشهدا حيا، وإيقاع قوي، إيقاع بقوة هذا اليوم.

وسمي يوم القيامة أيضا بالقارعة، وجاءت سورة القارعة بهذا الاسم، وكانت الآية الأولى منها (القارعة) " أَلْقَيْتُ كَالْقَدِيفَةِ، كلمة مفردة بلا خبر ولا صفة لتلقي بظلمها وجرسها الإيحائي المدوي المرهوب، ثم أعقبها سؤال التهويل، الذي يشير الدهشة والتساؤل: (ما القارعة). والمشهد الأول من السورة مشهد تطير له القلوب شعاعا، وترجف منه الأوصال ارتجافا، ويحس السامع كأن كل شيء يتشبث به في الأرض قد طار حوله هباء<sup>2</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۙ ۸۳ ﴾ (الواقعة 83)، فكلمة الحلقوم في هذه الآية تقرب صورة الموت عند وقوعه لصاحبه، وتوحي بصعوبة لحظة مفارقة الروح للجسد، فكأننا لصعوبة خروج الروح من الجسد نسمع صوت اختناق، أو نسمع " صوت حشجة ونبصر تقبض الملامح و نحس الكرب والضيق<sup>3</sup> ، وهو موقف لا يملك أحد حياله حيلة، إلا العجز والدهشة، وصاحبها يقف على حدود هذا العالم والعالم الآخر، ولكن ما من أحد ينقذه من هذا الموقف، والإيقاع الرزين في لفظة (الحلقوم) يدل على ثقل الموقف.

أما في قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ۙ ٥١ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ۙ ٥٢ ﴾ (الواقعة 51-52) فلفظ (زقوم) هو لفظ له دلالة، وجرسه يؤكد على خشونته، وصعوبة أكله وفضاعة مروره في الحلقوم وابتلاعه، ووقوعه في البطون، ولا أحد يعلم (شجر الزقوم)، إلا أن له وقعا مؤثرا على الوجدان والقلوب، وذلك لطبيعة الأصوات التي تألف منها. والسورة إنما جاءت بهذا الإيقاع لأنها كانت تصويرا حيا ودقيقا لمشاهد نشأة الآخرة، وتأكيذا ليوم القيامة.

وفي الآية الأولى من سورة القيامة: ﴿ لَا أُنسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ ١ ﴾، فلفظة (القيامة) تحشد على القلب البشري حقائق ومؤثرات، وصور ومشاهد، وإيقاعات ولمسات، ما لا قبل له بمواجهتها والتفلسف منها.. تحشدها بقوة، في أسلوب خاص يجعل لها طابعا قرانيا متميزا، سواء في أسلوب الأداء التعبيري، أو أسلوب الأداء الموسيقي، حيث يجتمع هذا وذاك على إيقاع تأثيري شعوري قوي، تصعب مواجهته ويصعب التفلسف منه أيضا. وإذا نظرنا إلى لفظة (لقارعة) وكيف جمع فيها بين حرف القاف وحرف العين، فإن ذلك يجعل الكلمة شديدة الإيقاع وأشد وقعا من سابقتها (القيامة)، ذلك لأنها جمعت حرفين قويين في الإيقاع، مما يجعلها تفرع القلوب وتضرب الأحاسيس بشدة.

1. الظلال 407/7.

2. الظلال 87/7.

3. السابق 105/7.

فبداية السورة كانت قوية الجرس، شديدة الوقع تلقي بإيحاءها في القلب والمشاعر، مما يجعل السامع أو القارئ يحس إحساسا عميقا بهول ذلك اليوم العظيم، فالقارعة هي قرع على القلوب والأحاسيس، وعند ذكرها تخشع الأنفس.

كما جاءت ملامح سورة المرسلات " حادة، ومشاهدها عنيفة، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة من نار، وهي توقف القلب وفتة المحاكمة الرهيبة، حيث يواجه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات، تنفذ إليه كالسهام المسنونة" <sup>1</sup>.

وقد تميزت السورة بفواصلها القصيرة، وتعدد القوافي، حيث جاء كل مقطع بقافية، وقد تكرر القافية بين المقاطع، مما يجعل الحس يتلقى هذه المقاطع والفواصل والقوافي بلذعها الخاص، وعنقها الخاص، واحدة تعقبها الأخرى، وكل القوافي جاءت بنفس الشدة، ونفس العنف. والسورة جمعت بين واقع الدنيا والآخرة والكون والأنفس حيث نجد بداياتها وصفا ليوم البعث، ويلى ذلك وصف للكون، فيوم الحساب وأصحاب الجنة وأصحاب النار.

وفي سورة التكاثر إيقاعان: "إيقاع جليل رهيب عميق، وإيقاع رزين، جاء الأول كأنه نذير، قائم على شرف عال يمد بصوته ويدوي بنبرته، يصيح بقوم غافلين مخمرين سادين، أشرفوا على الهاوية، وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور فهو يمد بصوته إلى الأعلى وأبعد ما يبلغ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ ۱ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ ۲ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ۳﴾ ثم يقول: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ۴ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ ۵ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ۶ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ۷ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝ ۸﴾، جاءت هذه الآيات بإيقاع رزين يقرع على القلوب بهول ما ينتظرهم بعد زيارة المقابر: (كلا سوف تعلمون)، ويتكرر هذا الإيقاع بألفاظه وجرسه الرهيب الرصين<sup>2</sup>: (ثم كلا سوف تعلمون) ، وبعد ذكر الجحيم يعمق وقعها على القلوب بإيقاع مؤكد، تأكيدا على الجحيم.

لقد جاءت السورة متدرجة في الإيقاع، من إيقاع منذر تميز بالمد والقوة والدوي، إلى إيقاع رصين يرهب القلوب ويجعلها ترتجف، ثم يؤكد هذا الإيقاع ويضغط عليه بعد ذكر الجحيم، فكانت شاغلا لمن يسمعها بحقيقة ما فيها بعدما كان غافلا، سائرا وراء الدنيا.

أما سورة العاديات فجاءت " بإيقاع موسيقي خشن ومدمدم مفرقع، يتناسب مع الجو الصاخب الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بشدة وقوة، كما تناسب الجحود والكنود، والأثرة والشح الشديد" <sup>3</sup>، والعاديات "هي الخيل التي تجري أو تعدو وسرعة نحو العدو"<sup>4</sup> ، والخيل رمز القوة والشدة، لاسيما إذا كانت متجه

1. الظلال 423/7.

2. الظلال 88/7.

3. السابق 85/7.

4. ينظر الألويسي 90/30.

نحو العدو، وإذا تركنا العنان لخيالنا فلنا أن نتصور الأصوات التي تصاحب ذلك المشهد، وسنحس حتماً بالذهول والرهبة لذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ ٣﴾ (الفجر 1-2-3) جاء الإيقاع هادئاً رقيقاً لتصوير مشاهد الجمال الكوني، ومن هذا الإيقاع الرخي يتجه إلى الإيقاع القوي في قوله: (ألم ترى كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد) (الفجر 6/7) لأنه يصف الجبابة الغابرين، وقد تعددت الفواصل وتغيرت حروفها بحسب تنوع مناسبة الآية، فكان إيقاعها الرصين في وصف المشاهد الكونية، وتغير إيقاعها إلى القوة عندما ذكرت الأمم الغابرة.

وعلى العموم فإننا إذا تتبعنا الآيات القرآنية التي تتحدث عن مشاهد يوم القيامة، فإن الألفاظ المختارة لها كانت "بالغة الإثارة، رهيبة الوقع، إما بعنفها كالزلزلة، والرج، والدك، والنسف، والرجف، والمور، والصيحة، والانشقاق، والطامة، والغاشية، والواقعة، والبعثة، والانتثار...

وإما بدقتها، كتمثال الذرة، والهباء المنبث، والعهن المنفوش، الفراش المبتوث، والسراب والدخان...<sup>1</sup>.  
وتساعد الألفاظ عموماً على وصف المشاهد، فالسور التي جاءت في سياق الرهبة تكون ألفاظها ذات جرس قوي وثقيل، أما السور التي جاءت في سياق الترغيب فتأتي ألفاظها بجرس رقيق مؤثر بلمسة حانية.

### 3. المستوى التركيبي:

يتجلى سر نظم القرآن الكريم في التركيب، والالتزام التام بالقواعد النحوية والبلاغية الموضوعية قصداً، ولهذا جاءت تراكيب النص القرآني موضوعية طبقاً للسياق. وقد يلجأ إلى التقديم والتأخير، أو الزيادة والحذف وذلك لملاءمة المناسبة النصية للتركيب.

#### أ- التقديم والتأخير:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٨﴾ (يونس 47/48)، ففي الآية الأولى تقدم ذكر الخير على ذكر السوء لمناسبة ما قيل، حيث تقدم فيه ذكر النفع على ذكر الضرر، سلك في ذكرهما مسلك الترتيبي على ما قيل، فإن دفع المضار أهم من جلب المنافع، وذكر النيسابوري أن أكثر ما جاء في القرآن إنما يأتي بالضرر والنفع مع تقديم لفظة الضرر على النفع وهو الأصل، لأن العابد إنما يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً ثم يعبد طمعا في ثوابه كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ (السجدة 16)، وحيث تقدم النفع على الضرر كان ذلك لسبق المعنى، تضمن معنى النفع كما في سورة الأعراف،

<sup>1</sup>. التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ ص 84.

حيث وفي لباب التأويل للخازن في الجواب على ذلك أنه يحتمل أن يكون هذا منه . p . على سبيل التواضع والأدب<sup>1</sup>.

وقد تقدم الضر على النفع في سورة يونس لخروج الآية عن سياق ذكر العذاب، لتعود إلى ذكره بعدها: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعْ ءَامَنْتُمْ بِئِنَّ ءَالَّنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِئِنَّ تَسْتَعْجِلُونَ ٥١﴾ (يونس 51)، و "إن اللفظة التي تتراوح لفظة الضر هي لفظة النفع ومعناها في أنه لا يملك إلا ما يملك الله من عباده واحد"<sup>2</sup>.

ولأن سورة يونس جاءت على تركيب أكثر آيات القرآن الكريم في أن تقدم الضر على النفع، فإننا سنقف على الآية التي شذت عن المألوف، وهي الآية التي قدمت النفع على الضر في سورة الأعراف.

فتقديم النفع على الضر في هذه الآية ربما جاء بغرض الإشارة إلى أن لا أحد بيده المنفعة حتى لنفسه إلا بإذن الله، فالله هو المتصرف في الكون، كل الكون. فما من أحد يستطيع أن يجلب لنفسه منفعة أو يدفع عن نفسه ضرا، إلا بإذنه . تعالى .، وهذا من باب الدعوة إلى الله والترغيب في مغفرته، والإقبال عليه.

وقد تقدم لفظ الخفض على الرفع في سورة الواقعة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ٣﴾ (الآية 3)، اعتبارا لأهمية المقدم، وذلك "للتشديد التهويل"<sup>3</sup> على المكذبين بيوم الدين، فعند سماع الآية يشهد ذلك اليوم على الكافرين، ثم تأتي البشرى للمؤمنين أنهم سيرفعون إلى درجات العلى.

فالواقعة هي "حينئذ خافضة أقواما كانوا في الدنيا أعزاء إلى نار الله، ورافعة أقواما كانوا في الدنيا ضعفاء إلى رحمة الله وجنته"<sup>4</sup>، "وقيل خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى"<sup>5</sup>.

وكان تقديم الخفض لما يليق به هذا التقديم من خوف وجزع في قلوب الملوك وأصحاب المناصب في الدنيا، لأنهم الأكثر حرصا على مكانتهم المرموقة، ولا يسعدهم الموضع الأسفل، ووقعهم موقع الاستهزاء والاستصغار، وتأخير لفظ (الرفع) لتبشير المؤمنين بالمكانة التي تنتظرهم في الآخرة، وفي قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٤٠﴾ (يس 40)، قدم الفاعل (الشمس) على الفعل وأدخل عليه حرف النفي ( لا) للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها، ووجه الدلالة أن الإيلاء المذكور يفيد التخصيص والابتغاء بمعنى الصحة والتسهيل المساوقين للاقتدار، ليستشعر منه في المقام الخطابي أن الشمس إذا خليت فذاتها تكون معدومة كما هو شأن سائر الممكنات، وأنها مسخرة في قبضة تصرفه . عز وجل .، وفيه تأكيد لما تفيد الآية الكريمة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨﴾ (يس 38) ورد بليغ لمن إليه يسند التأثير.

<sup>1</sup>. روح المعاني للأوسى 473/9-474.

<sup>2</sup>. درة التنزيل و غرة التأويل الخطيب الإسكافي ص134.

<sup>3</sup>. ينظر الأوسى 197/23.

<sup>4</sup>. تفسير ابن كثير 514/7.

<sup>5</sup>. تفسير الطبري 90/23.

ويعود تقديم الفاعل هنا على الفعل مع إدخال حرف النفي عليه لأهمية الفاعل في هذه الآية وهو (الشمس)، فلم يكن اختيارها من آيات الكون اعتباطاً، وإنما اختيرت الشمس لأن الله أراد أن يبين ضعف هذا المخلوق، فهي على عظمتها أمام كل المخلوقات . مسيرة، خاضعة لإرادة الله ولا تخرج عنها، فهي مسخرة مثلهم، ولعل في الآية خطاباً تهكمياً، ودعوة إلى عبدة الطاغوت عامة، وأولئك الذين يعظمون الشمس ويعبدونها بصفة خاصة، دعوة لهؤلاء للتأمل والتدبر.

ومن التقديم والتأخير أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ (الأنعام 102) ، وقوله في سورة غافر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾ (الآية 62) قدمت جملة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) في سورة الأنعام، وقدمت في سورة غافر لأن الآية التي في سورة الأنعام جاءت بعد قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ آلِهِنَ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ۝١٠٠﴾ (الأنعام 100)، فلما قال الله . تعالى .: ( ذلك ربكم ) أتى بعده بما ينفع الشركة ، فقال . عز قائلًا .: ( لا إله إلا هو ) ثم ( خالق كل شيء ) وتلك جاءت بعد قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ (غافر 57)، فكان الكلام على تثبيت خلق الناس، وتقديره لأعلى نفي الشريك منه . جل شأنه . كما في الآية الأولى، وكان تقديم (خالق كل شيء) هناك أولى<sup>1</sup> .

فتقديم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) في سورة الأنعام إنما جاء لإثبات وحدانية الله وإبعاد الشركاء عنه، أما تأخيرها في سورة غافر فكانت لإثبات الخلق.

### ب . الزيادة:

وقد يأتي القرآن بالفاظ قد يراها البعض زائدة جهة الوظيفة النحوية، أو من حيث القيمة الدلالية. إلا أن البلاغيين يؤكدون قيمتها البلاغية، ولا يخفى على المتأمل في آيات النص القرآني ما لها من وقع في النفس، ودور في تحريك الأحاسيس وإثارة الوجدان.

من أمثلة ذلك ما ورد في سورة الشعراء: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٢٥﴾ (الآية 125).

فزيادة كلمة (لا ضير) في الآية الأولى إنما كانت لأن السحرة " قابلوا وعيدهم بما يهونه ويزيل ألمه من انتقاهم إلى ثواب رهم مع المتحقق من متقلب معذبهم، و (لا ضير) قصد بها الاقتصاص الأكبر، أي: لا ضرر علينا فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعم أبدا وتعذب أنت أبدا، فالضرر الذي تحاول إنزاله بنا يكون بك نازلا، وعليك مقيما، ونحن نألم ساعة لا يعتد بها، مع دوام النعيم بعدها، فكأنه لم يلحقنا ضرر"<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> . ينظر الألويسي 462/8.

<sup>2</sup> . درة التنزيل، الإسكافي ص 132.

فكلمة (لا ضمير) جاءت لترهيب فرعون مما يفعله، ولحمل السحرة المعذبين على تحمل العذاب الذي يتلقونه وطمعهم في مغفرة الله . سبحانه وتعالى .، وكلمة (لا ضمير) لها تأثيرها على الملامن شهدوا تغيب السحرة وتعرفهم بالله وبرحمته وغفرانه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبُطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ٧٢﴾ (النحل72)، فكلمة (هم) زائدة لأن الكلام " قد نقل الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم وقوله . تعالى :: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبُطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ٧٢﴾ (النحل72) فأكد الكلام بقوله: (هم) لئلا يتوهم أن هذا الإخبار خطاب وهو بالتاء دون الياء إذا لا فرق في الخط بينهما <sup>1</sup> . وقد أتى الضمير للدلالة على المبالغة والتأكيد ليكون ترقيا في الذم بعيدا عن اللغوية<sup>2</sup>.

فالضمير إذن جاء على سبيل المبالغة وتأكيد الكلام، وهو مختص بالكافرين وحدهم، فكانت (هم) هنا وخرا للكافرين وتنبئها لهم.

وفي سورة الإسراء يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ (الآية23)، فزيادة (عندك) في الآية لأنها تخفي أعظم عوامل التأثير فيها ، إنها كلمة واحدة ولكنها تفيض شحنة هائلة من العواطف المثيرة، إذ تصور للمخاطب حالة والديه، وقد انتهيا من الضعف والشيخوخة إلى أن غدا كل منهما يعيش في كنفه وفي ظلال عطفه ورعايته، بعد أن كان هو يعيش في كنفهما وفي ظلال عطفهما ورعايتهما. فهذه الكلمة تحمل من الإثارة بقدر ما تحمله الآية من إشفاق على الوالدين ورحمة بهما عندما يبلغ بهما العجز ما يبلغه، و "بهذه الكلمة التصويرية التي وضعها دون التوسط لذلك بأي إرشاد عقلي أو توجيه فكري أو تذكير فكري، فلو استعويض عن هذه الكلمة المباشرة، لاستيقظ من العقل حاجز يقف دون تصور النفس لهذه الصورة المثيرة المؤلمة " فأوحت كلمة (عندك) للأبناء أنهم هم الملجأ الوحيد لوالديهم عند كبرهم<sup>3</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿الرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨ وَلِيَحْسَنَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعُفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنَّ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١﴾ (النساء7-11) ، فقد جاءت

<sup>1</sup>. درة التنزيل، الإسكافي ص 191.

<sup>2</sup>. الألويسي 241/4.

<sup>3</sup>. منهج تربوي فريد في القرآن، البوطي ص73-74.

عبارة : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) زائدة لربط الأوامر السابقة بصورة وجدانية أثارها في أعماق نفوس المخاطبين بهذا الأمر مباشرة ، وهي صورتهم وقد أوشكوا على مفارقة الدنيا وإن لهم فيها ذرية ضعيفة ليس لهما من بعدهم أي راع ولا معين، فقد أثر البيان الإلهي هذه الصورة المؤثرة في نفوس المخاطبين، حتى إذا تنبهوا لها وتخيلوا تلبسهم فيها، وجاشت في صدورهم من ذلك عوامل الرحمة والشفقة لصغارهم الذين يروئهم من حولهم، وكان من الممكن أن يقول لهم بدلاً من هذا: (افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم)<sup>1</sup> و إنما جاءت على هذا النحو استعطافاً للقلوب، و حرصاً على مصلحة اليتامى.

إن من يقرأ هذه الآيات فسيتصور-حتمًا- حال أبنائه بعد وفاته، وسيكون مع هؤلاء اليتامى أشد ما يكون الأب مع أبنائه عطفًا وحنانًا.

من ذلك أيضا قوله -تعالى- : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ (البقرة 183)، أي الأنبياء والأمم من لدن آدم -عليه السلام- إلى يومنا هذا، كما هو ظاهر في عموم الموصول، وزيادة (كما كتب على الذين من قبلكم) "تأكيد للحكم، وترغيب فيه، وتطبيب لأنفس المخاطبين فيه، فإن الأمور الشاقة إذا عمت طابت"<sup>2</sup> ، وزيادة الجملة أيضا فيه تليين لقلوب من وجه لهم الخطاب، فكان من الممكن أن تكتسي الآية الكريمة شدة الموقف (موقف الأمر) وصلابة الحكم الشرعي فتكون: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام لعلكم تتقون) لكنه الأسلوب القرآني في الدعوة، ورحمة الخالق بالخلق، بمشاعرهم وأحاسيسهم حتى.

### ج . الحذف :

لعل من الأسباب التي جعلت للحذف مكانا في النص القرآني أنها تجعل المتلقي يتعلق بالآيات تعلق نفسيا وفكريا، ويحاول تصور ما حذف أو إيجاده، ويذهب فيه إلى كل التأويلات، فتشغل هذه الآيات وخاصة المحذوف منها وجدان المتلقي وتفكيره، كما تمول له المحذوف، مثل الحذف الذي وقع في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ٧٣﴾ (الزمر 73)، فحذف جواب (إذا) المقدر بعد (خالدين) أبلغ من ذكره، لأن النفس تذهب في تصوره كل مذهب، وتجعل الخيال يصول ويجول بين مظاهر النعيم ودرجاته المختلفة.

وحذف جواب (إذا) للإيدان أن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات، كأنه قيل: إذا جاؤوها مفتحة لهم أبوابها وقال لهم خزنتها (سلام عليكم) أي من جميع المكاره والآلام. فالنعيم الذي ينتظر المؤمن في الجنة لا تكفيه الكلمات ولا يحصى حقيقته العادون.

<sup>1</sup>. منهج تربيوي فريد في القرآن، البوطي ص 77-78.

<sup>2</sup>. روح المعاني للألوسي 1/121.

وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨﴾ (التوبة: 118)، فحذف جواب ( إذا ) في هذه الآية يشمل كل حالات الضيق في الأرض من دون تحديد، ونجده كذلك في حذف الفاعل في قوله: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٨٧﴾ (التوبة: 87)، لأنه معلوم أن الله يطبع على القلوب، والطبع شيء معنوي لا يستطيعه إلا من يعلم السر ويعلم البواطن.

"وإسناد الطبع إلى المجهول إما للعلم بفاعله وهو الله، وإما للإشارة إلى أنهم خلقوا كذلك وجبلوا عليه، وفرع على الطبع انعدام علمهم بالأمر التي يختص بعلمها أهل الإفهام"<sup>1</sup>.  
ولعل إخفاء الفاعل هنا يوحي بسهولة هذا الأمر على الله وهوانه عليه، وأنه لبساطته لا يقترن بلفظ الجلالة (الله).

كما حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١﴾ (النور: 01) ف (سورة) هي خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة، وأشير إليها بـ (هذه) تنزيلاً لها منزلة الحاضر المشاهد وجاءت السورة بحذف المبتدأ على سبيل الامتنان والترغيب والمدح.

وفي قوله . تعالى .: ﴿بَنَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١﴾ (القلم: 01) حذف المفعول به لاستغراق كل ما يستعمل القلم، ولأن يكون عاما في ذهن السامع مطلقا، فينصرف ذهنه إلى كل مفعول يتصوره ويتخيله.

وفي سورة التوبة يقول تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤﴾ (الآية: 94)، ويقول بعدها: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَضُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ (الآية: 105). فحذف لفظ (المؤمنون) في الآية الأولى " لأنه يخاطب المنافقين فقال: (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد أنبأنا الله من أخباركم) معناه أن الله قد أخبرنا بأخباركم التي تخفونها في أنفسكم وتجاهرون بها من كان من المنافقين مثلكم، والله سيرى ما سيكون منكم بعد، ويرى رسوله باطلاع الله عليه، وأعمالهم التي لأجلها يحكم عليهم بالنفاق يراها الله - تعالى - ويطلع عليها رسوله، وما كان مؤمن يعلمها، فلذلك لم يقل في هذا المكان (المؤمنون)"<sup>2</sup>.

وحذف لفظ (المؤمنون) هنا لكفاية لفظ (الرسول)، فمن افتضح أمره عند الرسول فلا يذهب إلى أن يصدقه أحد من المؤمنين مهما سعى إلى ذلك سبيلا، وفي هذا إيحاء بقدر الرسول  $\rho$  وغيظ للمنافقين بذلك. هذا هو التركيب القرآني، تقديم وتأخير بإحكام، أو حذف تذهب النفس معه كل مذهب، أو زيادة في موضعها وتؤدي دورها ترغيبا وترهيبا وتوكيدا. تركيب كان من أسرار الخلود في النص القرآني.

<sup>1</sup>. التحرير والتنوير، ابن عاشور 357/6.

<sup>2</sup>. درة التنزيل وغرة التأويل الإسكافي ص 147.

#### 4 . المستوى البلاغي :

وظف النص القرآني المحسنات البديعية كطريقة للتصوير الجيد، بريشة فنان مبدع، ليكون لهذه الصورة أثرها وبصمتها، وعند تصوير الجنة والنعيم، يتعلق المؤمن بربه، وترغبه فيه، وترهب الكافرين كما ترهبهم صورة النار التي تنتظرهم بشغف، وقد استعمل التصوير الحسي لأنه الأكثر تأثيراً على نفسية الملتقي، والصورة بشكل عام لها وقع فريد على الملتقي إذ تساعده على التخيل.

#### أ . الاستعارة:

قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ هُمْ آلِيلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝ ٣٧﴾ (يس 37) ، والسرخ هو إزالة الجلد عن حيوانه ، وعدي السرخ إلى ضمير الليل ب(من) فصار المعنى: الليل آية لهم من حال إزالة غشاء نور النهار عنه فيبقى عليهم الليل، فشبّه النهار بجلد الشاة و نحوها يغطي ما تحته منها كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح وشبه كشف النهار وإزالته بسرخ الجلد على نحو الشاة، فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده، وليس الليل بمقصود بالتشبيه، وإنما المقصود تشبيه زوال النهار عنه فاستتبع ذلك أن الليل يبقى شبه الجسم المسلوخ عنه جلده . وقد اعتبر أئمة البلاغة الاستعارة في هذه الآية أصلية تبعية، ولم يجعلوها تمثيلية... المقصود بالتشبيه هو حالة زوال نور النهار عن الأفق فتخلفها ظلمة الليل، لقوله: (فإذا هم مظلمون)<sup>1</sup> . فالاستعارة تحمل صورة الليل وهو يلبس النهار، والصورة توحي بعدم رجوع النهار إذا سلخ من الليل كما لا يعود الجلد المسلوخ. وهو تصوير دقيق لذهاب الليل وعدم عودته كما النهار.

كما استخدمت الاستعارة في قوله: (تكاد تميز من الغيظ) (الملك 8) لوصف نار جهنم، وذلك لأن الاستعارة في هذا التعبير أبلغ من أي تعبير آخر<sup>2</sup> " لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس"<sup>3</sup> ولأن ما تحسه النفس يكون أثره على الملتقي أشد وأبلغ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَادَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ جَبَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمَلُونَ ۝ ٥﴾ (فصلت 5). فالمراد بالقلوب: العقول، حكي بمصطلح كلامهم قولهم إذ يطلقون القلب على العقل، والأكنة: جمع كنان مثل غطاء وزنا ومعنى، أثبتت لقلوبهم أغطية على طريقة التخيل، " وشبهت القلوب بالأشياء المغطاة على طريقة الاستعارة المكيئة"<sup>4</sup> للدلالة على أن لا فائدة من دعوتهم، فالأغلفة تحول دون وصول الهدى إلى قلوبهم، وهذا من باب التئيس من هؤلاء الكفار وقطع الأمل منهم.

1. التحرير والتنوير لابن عاشور 37/12.

2. الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، جابر عصفور ص 268.

3. النكت للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إجاز القرآن). ص 84.

4. التحرير والتنوير 455/12.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝٣٠﴾ (الزخرف30) فالاستعارة هي (جاءهم الحق) والحق هو الرسول  $\rho$  وما جاءهم به من دين الله، فالكافرون في قرارة أنفسهم كانوا يعلمون أنه الحق، ولكنهم سموه بالسر ليقناد إليهم المأل في الابتعاد عن الدين.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ (الدخان29) "مجاز عن عدم الاكتراث بهلاك فرعون ومن معه، وعدم الاعتداد بوجودهم،

وهو استعارة تمثيلية تخيلية، شبه حال موتهم لشدته وعظمتها بحال من تبكي عليه السماء والأرض بالإنسان وأسند إليها البكاء أو تمثيلية بأن شبه حالهما وبقائهما على ما كانا عليه بحال من لم يبك<sup>1</sup>.

فاستعمال هذه الاستعارة كان لتحقير أمر فرعون ومن معه وتحقيرا له، بأن لا أحد يجزع لموته لا في الأرض ولا في السماء.

" والاستعارة أبلغ لما فيها من بيان بالإخراج على ما يقع عليه الإدراك<sup>2</sup> في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥﴾ (الشعراء225)، وبذلك تلقى مكانا في نفس السامع لأنها حولت ما هو معنوي إلى صورة محسوسة، فكان له التأثير الأعمق.

#### ب . التشبيه:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾ (نوح16) " منورا لوجه الأرض في ظلمة الليل، وجعله فيهن مع أنه في إحداهن، وهي السماء الدنيا، كما يقال: زيد في بغداد، وهو في بقعة منها، والمرجع له الإيجاز والملابسة بالكلية والجزئية و كونها طباقا شفافة (وجعل الشمس سراجا)، يزيل ظلمة الليل ويصير أهل الدنيا في ضوءها وجه الأرض، ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، وتنوينه للتعظيم، وفي الكلام تشبيه بليغ<sup>3</sup> يومئ بأن الشمس تمكن البشر من أن يقضوا حوائجهم بأن ينير لهم دروبهم ويرشدهم، ويمحو عليهم ظلمة الليل وسواده، أما القمر فإنه أقل نورا من الشمس، فيمكنهم من قضاء حوائجهم عند غياب الشمس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩﴾ (الإنسان19) تشبيه بليغ (حسبتهم لؤلؤا منثورا) أي "إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من

1. روح المعاني للألوسي 319/25.

2. النكت للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). ص84.

3. التحرير والتنوير 319/15.

اللؤلؤ المنتور على المكان الحسن "1. "وهو من تشبيه المفرد لأن الانبثاث غير ملحوظ، والخطاب في (رأيتهم) للنبي p. أو لكل واقف عليه "2.

وجاء التشبيه بصورة رائعة تشتهيها الأنفس، جذابة تتمناها الخواطر. ولما أراد القرآن الكريم تثبيت المؤمنين وتكوين الأذى الذي لحقهم في بداية الإسلام، فقد جاء بما هو بذلك كفيل، إذ صور لهم النعيم المطمئن في صورة معبرة شددت إليها القلوب، وتعلقت بها الأمانى.

نلمس روعة التشبيه أيضا في الآية الكريمة: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهَا الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۗ﴾ (الحج31)، فقد صورت الآية مرتبة الإيمان والشرك بعلو السماء والسقوط منها، " فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، وهذا السقوط إن كان في حق المرتد فظاهر، وهو في حق غيره باعتبار الفطرة، وجعل التمكن والقوة بمنزلة الفعل "3.

وهذا التشبيه هو صورة صادقة لمن يشرك بالله، وفيه إجماع بقوة السقوط وسرعته، لمن يتعد عن قاعدة التوحيد، هذه القاعدة المتينة والثابتة وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۗ﴾ (محمد12) تشبيه مرسل مفصل أي أن أكلهم مجرد من الفكر والنظر كما تقول للجاهل: تعيش كما تعيش البهيمة، لا تريد التشبيه في مطلق العيش ولكن في خواصه ولوازمه، وحاصلة أنهم يأكلون غافلين عن عواقبهم ومنتهى أمورهم "4.

فالكافرون يتمتعون بمتاع الأرض كالحيوان، بعيدا عن الإنسانية وسماتها، بلا تفكير ولا تذوق، يتمتعون بعيدا عن الضوابط والإرادة وعن كل رادع حتى من الضمير.

ج . الكناية: قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۗ﴾ (العنكبوت54)، هذه الآية فيها استحضار المستقبل كأنه مشهود، وكأنه واقع معيش صور لهم جهنم محيطة بالكافرين وذلك بالقياس إليهم مستقبل مستور، ولكنه بالقياس إلى الواقع المكشوف لعلم الله حاضر مشهود، وتصويره على حقيقته المستورة يوقع في الحس رهبة، ويزيد استعجالهم بالعذاب نكارة، فأنى يستعجل من تحيط به جهنم، وهم أن تطبق عليه وهو غافل مخدوع؟! "5.

وهي كناية على اتساع جهنم مهما كان عددهم، بل تسعهم وهم متفرقون وهذه الكناية فيها ترهيب من نار جهنم ومن عذاب الله.

1. تفسير ابن كثير 292/8.

2. روح المعاني 18/29.

3. روح المعاني 57/17.

4. السابق ص113.

5. الظلال 471-470/5.

ومن قوله تعالى: ﴿يَعْوِزَ لَكُمْ دُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢﴾ (الصف 12) تظهر المساكن غرفا تعلوها غرف، تتلوى عبرها الأنهر الرقراقة التي تزيدها جمالا وبهاء، وحسنا وثناء، كناية عن الإكرام وحسن الوفادة<sup>1</sup>، وذلك ترغيبا في الجنة، وتحبيبا فيها حتى تتعلق النفس بما فيها، وبالسييل التي تؤدي إليها قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْذَتْهُمْ حَوَاءً ٤٣﴾ (إبراهيم 43) وهو يصور في أسلوب الكناية البصر وقد شخص ذاهلا والكافر مشدوه يسير مشدودا إلى الأمام، لا يعرف لبعصره قرار، وهو مفتوح محدود دون أن يحرك الكافر أجفانه، فالقواد فارغ، والبصر خاشع، والرأس مقنع، والمشية في إهطاع<sup>2</sup>.

وهو كناية عن عدم الثقة وفقدان الاطمئنان، ترهيبا للكافرين من ذلك اليوم حيث لا مفر. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الْأَطْلَامُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنِّي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧﴾ (الفرقان 27)، فيه كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفها الرادفة ويدل بها على المردوف فيرفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده من الروعة، مالا يجده عند لفظ المكنى عنه.

والكناية فيها صورة مجسمة عن الندم اللاذع، والحسرة الشديدة، التي يحس بها الكافر، حتى أن السامع يشاركه في الندم و الأسف والأسى وفي كناية أخرى عند شدة الهول الذي يصيب الكافرين يقول تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كُظْمِينَ مَّا لِلظَّلْمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاغُ ١٨﴾ (غافر 18) ذلك أن "القلوب يشتد اضطراب حركتها من فرط الجزع مما يشاهده أهلها من بوراق الأهوال حتى تتجاوز القلوب مواضعها صاعدة إلى الحناجر"<sup>3</sup>، وذلك من شدة ما يرون من العذاب، وجاءت هذه الصورة حية ليكون لها الأثر الواضح على السامع .

وقال تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ ٤﴾ (المدثر 04)، فتطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تندم عليه من الأفعال، وتهذيبها عما يستهجن من الأحوال، لأن من لا يرضى بنجاسة من يماسه، فكيف يرضى بنجاسة نفسه !!؟ "يقال: فلان طاهر الثياب نقى الذيل والأدران إذا وصف بالنقاء ومدانس الأخلاق، ويقال فلان دنس الثياب وكذا دسم الثياب للغادر، ولمن قبح فعله"<sup>4</sup>.

فتطهير النفس من كل الأدران يؤدي إلى تطهير الثياب، ومن استطاع تطهير نفسه وأخلاقه، سهل عليه تطهير ثيابه.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ٢٢﴾ (لقمان 22)، فجملة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) تشبيه تمثلي مركب حيث شبه حال المتوكل

1. الوصف في القرآن الكريم يونس جاسم ص 40.

2. السابق ص 35..

3. التحرير والتنوير 419/12.

4. الكشف 214/4.

على الله عز وجل المفوض إليه أموره كلها المحسن في أعماله لمن ترقى في جبل شاهق أو تدلى منه فتمسك بأوثق عروة من جبل متين مأمون انقطاعه.

والتشبيه فيه دعوة للتوكل على الله وتسليم كل الأمور إليه، وفيه ترغيب لوضع الثقة التامة بالله سبحانه وتعالى وبيعت في نفوس المؤمنين بالله الطمأنينة.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ (البقرة 260)،

في هذه الآية نوع من التمثيل<sup>1</sup>، يقصد به تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر<sup>2</sup>، تحببها في الزكاة في سبيل الله، بإظهار نتائجها ودعوة إليها.

---

<sup>1</sup>. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب لجابر عصفور ص 269.

<sup>2</sup>. الكشف 297/1.



خاتمة

وبعد ... لقد كانت هذه الدراسة جولة شاقة شيقة في رحاب النص القرآني، وبين آياته الكريمات الطاهرات.

وإن كان "هذا القرآن لا تنتهي عجائبه ولا تقتضي غرائبه" فهذا هنا وقف بنا المقام، وعند هذا الحد توقف الفكر والقلم، لأن السعي وراء التقصي، وطلب الإمام والإحاطة، وإنما هو طلب لمحال وسعي خلف سراب.

ولكن، حري بنا قبل التوقف أن نسجل بعض ما أمكننا التوصل إليه من خلال هذه الدراسة، ونوجزه فيما يأتي:

1- مساهمة المستويات اللغوية في الإثارة الوجدانية في القرآن الكريم تتجلى من خلال مقاصدها البلاغية.

2- الإثارة الوجدانية وسيلة مهمة من وسائل المنهج التربوي في القرآن.

3- بلاغة القرآن الكريم بلاغتان:

أ- بلاغة بالمعنى الاصطلاحي المعروف، أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو مناسبة المقام.

ب- بلاغة ذوقية وجدانية منسوبة.

4- إيجاز القرآن بالغ حد الروعة، حيث لا يخل بالمقصود، وإطنابه غير ممل في تكراره.

5- أمثال القرآن تخاطب الإحساس إذ تعجل المعقول محسوسا، وتصير الغائب عن الذهن حاضرا لديه.

6- تفنن القرآن في بنائه الصوتي بحيث لا تعارض بين أصواته ومعانيه.

7- اختياره للمقطع الصوتي المناسب للمقام.

8- التصوير والتشخيص تقنيتان أساسيتان ساهمتا في الإثارة الوجدانية في النص القرآني.

وختاما ....

ليس لنا, ولا لغيرنا ادعاء الإحاطة, والإلمام, ولكننا ندعي - صادقين- أننا اجتهدنا, فبرئنا إلى أنفسنا من تبعات التقصير فيما يتيسر لنا, فإن قصرنا فضعف ساقه العجز إلينا, وإن قاربنا ففضل من الله علينا.  
ولنا أن نطمئن إلى أننا طرقتنا بابا للبحث البياني في القرآن الكريم, قد يطرقه غيرنا فيتيسر له أن يستجلي بقية عناصره.

# قائمة المراجع

• القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

- 1- أسلوب الوعيد في القرآن الكريم: عبد الحليم حنفي, دار الأوبرا القاهرة, ط 1 1420 هـ / 2000 م.
- 2- إعجاز القرآن والسنة النبوية: مصطفى صادق الرافعي, دار الكتاب العربي بيروت, د/ط 1429 هـ / 2003 م
- 3- البرهان في علوم القرآن: عبد الله الزركشي, تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم, دار الفكر, ط 3 د/ت.
- 4- البيان والتبيين: الجاحظ, تحقيق: درويش جويدي, المكتبة العصرية للطباعة والنشر د/ط 2001 م / 1422 هـ.
- 5- تاج العروس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني, أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي, مكتبة الحياة, بيروت / المطبعة الخيرية, مصر ط/1 1306 هـ.
- 6- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): إسماعيل بن حماد الجوهري, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين, ط 3 1404 هـ/1984 م.
- 7- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور, الدار التونسية للنشر والتوزيع, تونس, د/ط 1984.
- 8- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب, دار الشروق, د/ط د/ت.
- 9- التعبير الفني في القرآن: بكري شيخ أمين, دار الشروق, ط 4 1400 هـ / 1980 م.
- 10- التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني, دار الإيمان, الإسكندرية, د/ط د/ت.
- 11- التفسير الأدبي للنص القرآني: مصطفى صاوي الجويني, شركة جلال للطباعة, د/ط د/ت.
- 12- التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ), دار المعارف - مصر, ط 3 د/ت.
- 13- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير, ج 4, المكتب الجامعي الحديث, د/ط, د/ت.

- 14- التكرار: حسين نصار, مكتبة الخانجي بالقاهرة, ط 1 1423هـ/2003م.
- 15- التمثيل الصوتي للمعاني: حسن عبد الجليل يوسف, الدار الثقافية للنشر, د/ط, د/ت.
- 16- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية: أحمد سعيد محمد, مكتب الآداب - القاهرة, ط 2 1421 هـ / 2000 م.
- 17- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): عبد الرحمان بن ناصر السعدي, مكتبة ابن باديس, د/ط, د/ت.
- 18- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي والجرجاني, تحقيق: محمد خلف الله وزغلول سلام, دار المعارف القاهرة, ط 2 1951 م.
- 19- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري, تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط 1 1420 هـ / 2000 م.
- 20- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الاسكاني (ت 431 هـ), دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان, ط 1, 1422 هـ / 2002 م.
- 21- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القهار الجرجاني, المكتبة العصرية بيروت, د / ط 1422 هـ / 2002 م.
- 22- دليل الدراسات الأسلوبية: جوزيف ميشال شريم, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, ط 2 1407 هـ / 1987 م.
- 23- ديوان زهير بن أبي سلمى: تقديم وشرح وتعليق د: محمد حمود أبي, دار الفكر اللبناني, بيروت, ط 1 1995 م.

- 24- **روائع الإعجاز في القصص القرآني:** محمود السيد حسن, المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية, ط2 2003م.
- 25- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي, دار الفكر - بيروت, د/ط 1417 هـ / 1997 م.
- 26- **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب:** جابر عصفور, المركز الثقافي العربي, ط3 1992 م.
- 27- **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:** صبحي إبراهيم الفقي ح2, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة, ط1 1421 هـ / 2000 م.
- 28- **الفائق في غريب الأثر:** جار الله الزمخشري, الدار التونسية للنشر والتوزيع, تونس, د/ط د/ت.
- 29- **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:** فتحي أحمد عامر, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, القاهرة, د/ط 1375 هـ / 1975 م.
- 30- **في ظلال القرآن:** سيد قطب دار الشروق - بيروت, ط9 1980.
- 31- **القاموس المحيط:** مجد الدين الفيروز آبادي, المكتبة التجارية الكبرى, مصر د/ط د/ت.
- 32- **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن ورد شبهات):** فضل حسن عباس, دار الفتح عمان - الأردن, ط1 1421 هـ / 2000 م.
- 33- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل:** جار الله الزمخشري, المطبعة الأميرية ببولاق/مصر, د/ط 1319 هـ.
- 34- **لسان العرب:** ابن منظور م6, دار صادر للطباعة والنشر - بيروت, ط1 1997م.

- 35- محاضرات في الفنون والمدارس الأدبية: صبحي صالح, كلية الآداب بجامعة دمشق, د/ط 1380 هـ / 1961 م.
- 36- مختار الصحاح: زين الدين الرازي, دار الكتاب اللبناني بيروت, د/ط د/ت.
- 37- المزهر في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي, دار إحياء الكتب العربية, د/ط د/ت.
- 38- معالم التنزيل (تفسير البغوي): أبو أحمد الحسين بن مسعود البغوي, تحقيق: محمد عبد الله النمر, عثمان جمعة ضميرية, سليمان مسلم الحرش, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط 4 1417 هـ/1997 م.
- 39- المعجم الأدبي: عبد النور جبور, دار العلم للملايين, ط 1 مارس 1997.
- 40- المعجم الفلسفي: جميل صليبا, دار الكتاب اللبناني بيروت, د/ط 1982 م.
- 41- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية القاهرة, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية, د/ط 1403 هـ / 1983 م.
- 42- من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي, مكتبة النهضة مصر, د/ط د/ت.
- 43- منهج تربوي فريد في القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي, دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة-الجزائر, د/ط 1985 م.
- 44- النهاية في غريب الأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري, تحقيق: طاهر أحمد الزاوي / محمود محمد الطانجي, المكتبة العلمية بيروت, د/ط 1399 هـ / 1979 م.
- 45- همس الجفون: ميخائيل نعيمة (المجموعة الكاملة) ج4, دار العلم للملايين بيروت د/ط 1971 م.
- 46- الوصف في القرآن الكريم: يونس جاسم, دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق, د/ط 1422 هـ / 2002 م.

# الفهرس

## الفهرس

أ-ب	مقدمة: .....
	الفصل التمهيدي.
04	تعريف الإثارة: لغة: .....
07	اصطلاحا: .....
08	تعريف الوجدان: لغة: .....
10	2 اصطلاحا: .....
	الفصل الأول: المستويات اللغوية للإثارة الوجدانية.
16	مدخل: .....
24	2 . المستوى الصوتي: .....
36	3 . المستوى التركيبي: .....
42	4 . المستوى البلاغي: .....
	الفصل الثاني: المستويات اللغوية والمقاصد الإبلاغية.
51	1 . الانتخاب المعجمي: .....
56	2 . المستوى الصوتي: .....
60	3 . المستوى التركيبي: .....
60	أ . التقديم والتأخير: .....
62	ب . الزيادة: .....
64	ج . الحذف: .....
66	4 . المستوى البلاغي: .....
66	أ . الاستعارة: .....
67	ب . التشبيه: .....

68	ج . الكناية: .....
	. قائمة المصادر والمراجع
	الفهرس
	الملخص

## • الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المستويات اللغوية للنص القرآني ودورها في الإثارة الوجدانية. فما هي المستويات اللغوية للنص القرآني؟ وما الإثارة الوجدانية؟ وما دور تلك المستويات اللغوية في الإثارة الوجدانية؟ وللإجابة على تلك التساؤلات فقد تصدر هذا البحث تمهيداً تم التطرق فيه إلى المفاهيم الأساسية لعناصر البحث. تلا ذلك فصلان، تناول الأول منهما المستويات اللغوية للنص القرآني، وهي: الانتخاب المعجمي، المستوى الصوتي، فالتركيب، فالبلاغي. أما الفصل فقد تطرق للإثارة الوجدانية في القرآن الكريم ودور المستويات اللغوية فيها. وكان اختيار الشواهد القرآنية من مواضع متفرقة إثراء للموضوع، سعياً إلى الإلمام بكافة المستويات. كلمات مفتاحية: النص القرآني – الإثارة الوجدانية – الأسلوب – الانتخاب المعجمي – المستوى الصوتي – المستوى التركيبي – المستوى البلاغي.

## • Summary:

*This research aims to study the linguistic levels of the Qur'anic text and their role in emotional excitement. What are the linguistic levels of the Quranic text? What is emotional excitement? What is the role of those linguistic levels in emotional excitement?*

*In order to answer these questions, this research issued an introduction in which the basic concepts of the research elements were discussed.*

*Two chapters followed, the first of which dealt with the linguistic levels of the Qur'anic text, namely: lexical selection, phonemic level, syntax, and rhetoric.*

*As for the chapter, it touched on emotional excitement in the Holy Qur'an and the role of linguistic levels in it. The selection of Qur'anic evidence from various places enriched the subject, in an effort to gain familiarity with all levels.*

**•Keywords:** *linguistic levels - the Qur'anic text - emotional excitement - style - lexical selection - phonetic level - syntactic level - rhetorical level.*